كتاب التوحيد

تأليف الزعيم المصلح المجدد شيخ الإسلام
محمد بن عبد الوهاب رحمه الله
المتوفى سنة ١٢٠٦ هـ

وكتاب القول السديد

في مقاصد التوحيد للعلامة الفاضل الشيخ
عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي رحمه الله
المتوفى سنة ١٣٧٦ هـ

دار العقيدة



الطبعة الأولى
٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ

رقم الإيداع: ٢٧١٩ / ٢٠٠٦

الترقيم الدولى: 4 - 095 -347 - 977

دار العقيدة

الإسكندرية: ١٠١ ش الفتح باكوس ت: ٠٣/٥٧٤٧٣٣١ ف: ٠٣/٥٧٦٥٦٢١
القاهرة: ٣ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر ت: ٠٠٢٠٢/٥١٤٣١٧٤
E-mail: dar_alakida@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب التوحيد

وقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦). وقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ الآية (النحل: ٣٦). وقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء: ٢٣، ٢٤). وقوله: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ الآية (النساء: ٣٦). وقوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا

كتاب التوحيد

قال الشيخ السعدي: هذه الترجمة تدل على مقصود هذا الكتاب من أوله إلى آخره، ولهذا استغنى بها عن الخطبة، أى أن هذا الكتاب يشتمل على توحيد الإلهية والعبادة بذكر أحكامه، وحدوده وشروطه، وفضله وبراهينه، وأصوله وتفاصيله، وأسبابه، وثمراته، ومقتضياته، وما يزداد به ويقويه، أو يضعفه ويوهيه، وما به يتم أو يكمل. اعلم أن التوحيدَ المطلقَ العلمُ والاعتراف بتفرُّد الرب بصفات الكمال، والإقرار بتوحده بصفات العظمة والجلال، وإفراده وحده بالعبادة.

الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (الأنعام: ١٥١-١٥٣).

قال ابن مسعود: «من أراد أن ينظَر إلى وصيَّة محمدﷺ التي عليها خاتَمهُ فَلْيقْرَأْ قوله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ إلى قوله: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا ﴾ الآية».

وعن مُعاذ بـن جبل رضي الله عنه قال: «كنتُ رَديفَ النبيﷺ على حمـار، فقال لي: يامعـاذُ، أتدري ما حقُّ الله على العبـاد، وما حقّ العبـاد على الله؟». قلت الله ورسـوله أعلـم، قـال: حقّ الله على العباد: أن يعبدوه ولا يُشركـوا به شيئاً، وحقّ العباد على الله: أنْ لا يُعذِّبَ من لا يُشْرِكَ به شيئـاً، قلت يا رسولَ الله، أفلا أُبَشِّر الناسَ؟ قال: لا تُبشِّرْهُمْ فَيتَّكلُوا». أخرجاه في (الصحيحين).

وهو ثلاثة أقسام:

أحدها: توحيد الأسماء والصفات. وهو اعتقاد انفراد الرب -جل جـلاله- بالكمال المطلق من جـميع الوجـوه بنعوت العظـمة والجلال والجمـال التى لا يشاركه فيـها مشارك بوجـه من الوجوه،

فيه مسائل :

الأولى: الحكْمةُ فى خلق الجن والإنس.

الثانية: أن العبادة هى التوحيدُ: لأن الخصومة فيه.

الثالثة: أن مَنْ لم يأت بـه لم يعْبدِ الله، ففيـه معنى قوله: ﴿**وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ**﴾ (الكافرون: ٣).

الرابعة: الحكمةُ فى إرسال الرُّسل.

الخامسة: أن الرسالة عمَّت كل أُمة.

السادسة: أن دين الأنبياء واحد.

السابعة: المسألة الكبيـرةُ: أن عبادة الله لا تحصلُ إلا بالكفر

وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسـه، أو أثبته له رسوله ﷺ من جميع الأسماء والصفات، ومعـانيها وأحكامها، الواردة فى الكتاب والسنة على الوجـه اللائق بعظمتـه وجلاله من غـير نفى لشىء منـها ولا تعطيل، ولا تحريف ولا تمثيل. ونفى ما نفـاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ من النقائص والعيوب وعن كل ما ينافى كماله.

الثانـى: توحيد الربـوبية. بأن يعتقـد العبد أن الله هو الرب المتفرد بالخلق والرزق والتدبير الذى ربى جميع الخلق بالنعم، وربى خواص خـلقه -وهم الأنبـياء وأتبـاعهم- بالعـقائد الصـحيـحة، والأخلاق الجـميلة، والعلوم النافـعة، والأعـمال الصـالحة، وهذه التربية النافعة للقلوب والأرواح المثمرة لسعادة الدارين.

بالطاغوت ففيه معنى قوله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ (البقرة: ٢٥٦).

الثامنة: أن الطاغوت عامٌّ فى كل ما عُبِدَ من دون الله.

التاسعة: عظَمُ شأن ثلاث الآيات المحكمات فى سورة الأنعام عند السلف وفيها عشر مسائل، أولها: النهى عن الشرك.

العاشرة: الآيات المحكمات فى سورة الإسراء، وفيها ثمانية عشر مسألة، بدأها الله بقوله: ﴿لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولاً﴾ (الإسراء: ٢٢). وختمها بقوله: ﴿وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ (الإسراء: ٣٩). ونَبَّهنا الله سبحانه على عظم شأن هذه المسائل بقوله: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ (الإسراء: ٣٩).

الثالث: توحيد الإلهية - ويقال له توحيد العبادة. وهو العلم والاعتراف بأن الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، وإفراده وحده بالعبادة كلها، وإخلاص الدين لله وحده، وهذا الأخير يستلزم القسمين الأولين ويتضمنهما، لأن الألوهية التى هى صفة تعم أوصاف الكمال وجميع أوصاف الربوبية والعظمة، فإنه المألوه المعبود لما له من أوصاف العظمة والجلال، ولما أسداه إلى خلقه من الفواضل والإفضال، فتوحده تعالى بصفات الكمال وتفرده بالربوبية يلزم منه أن لا يستحق العبادة أحد سواه. ومقصود دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم الدعوة إلى هذا التوحيد.

الحادية عشــرة: آية سورة النساء التي تسمى آية الحقــوق العشرة بدأها **الله** تعالى بقوله: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ (النساء: ٣٦).

الثانية عشرة: التنبيه على وصيّة رسول الله ﷺ عند موته.

الثالثة عشرة: معرفة حَقّ الله علينا.

الرابعة عشرة: معرفة حق العباد عليه إذا أدَّوا حَقَّه.

الخامسة عشرة: أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة.

السادسة عشرة: جواز كتمان العلم للمصلحة.

السابعة عشرة: استحباب بشارة المسلم بما يَسُرُّه.

الثامنة عشرة: الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله.

التاسعة عشرة: قول المسؤول عَمَّا لا يعلم: (اللهُ وَرَسُولُهُ أَعلَمُ).

العشرون: جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض.

فذكــر المصنف في هذه الترجــمة من النصــوص ما يدل على أن الله خلق الخلق لعبـادته والإخلاص لـه، وأن ذلك حقـه الواجب المفروض عليهم. فجميع الكتـب السماوية وجميع الرسل دعوا إلى هذا التوحـيد، ونهـوا عن ضده من الشـرك والتنديد، وخصـوصاً محمد ﷺ وهذا القرآن الكريم، فـإنه أمر به وفرضـه وقرره أعظم تقرير، وبينه أعظم بيان، وأخبر أنه لا نجاة ولا فلاح ولا سعادة إلا بهذا التوحيـد، وأن جميع الأدلة العقلية والنقلية والأفقيـة والنفسية

الحادية والعشرون: تواضعه ﷺ لركوب الحمار مع الإرداف عليه.

الثانية والعشرون: جواز الإرداف على الدابة.

الثالثة والعشرون: فضيلة معاذ بن جبل.

الرابعة والعشرون: عظم شأن هذه المسألة.

باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

وقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ ـ الآية (الأنعام: ٨٢).

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن شَهِد أن لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَحدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وأَنَّ مُحَمَّداً عَبدُهُ وَرَسُولُه، وأنَّ عيسى عبدُ الله ورسولُه، وكَلمَتُه، أَلقَاهَا إِلَى مَريَمَ ورُوحٌ منهُ، والجَنَّة حَقّ وَالنَّارَ حَقّ، أَدخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِن العَمَلِ» أخرجاه.

أدلة وبراهين على الأمر بهذا التوحيد ووجوبه. فالتوحيد هو حق الله الواجب على العبيد وهو أعظم أوامر الدين وأصل الأصول كلها، وأساس الأعمال.

باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

قال الشيخ السعدي: لما ذكر في الترجمة السابقة وجوب التوحيد، وأنه الفرض الأعظم على جميع العبيد، ذكر هنا فضله

ولهما في حديث عتْبان: «**فَإِنَّ الله حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَن قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهَ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ الله**».

وعن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال: «**قَالَ مُوسى: يَا رَبِّ عَلِّمنى شَيئاً أَذكُرك وَ أَدعُوكَ به، قَالَ: قُلْ يَا مُوسى: لا إله إلا الله، قال: يا رب، كل عبادك يقولون هذا، قال: يا موسى لَو أَنَّ السَّمَاوَات السَّبعَ وَعامرُهُنَّ غَيرى وَالأَرَضينَ السَّبعَ فى كفَّة، وَلاَ إِلَهَ إِلاَّ الله فى كفَّة: مَالَت بهنَّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله**». رواه ابن حبَّان والحاكم وصحّحه. وللترمذي -وحسنه- عن أنس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قَالَ الله تَعَالَي: يَا بنَ آدَمَ، لَو أَتَيتَنى بقُرَابِ الأَرضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنى لاَ تُشرِكُ بى شَيئاً لأَتَيتُكَ بقرابِهَا مَغفرَةً**».

وهو آثاره الحميدة ونتائجه الجميلة، وليس شىء من الأشياء له من الآثار الحسنة والفضائل المتنوعة مثل التوحيد، فإن خير الدنيا والآخرة من ثمرات هذا التوحيد وفضائله.

فقول المؤلف رحمه الله: «وَمَا يُكَفّرُ مِنَ الذُّنُوب» من باب عطف الخاص على العام، فإن مغفرة الذنوب وتكفير الذنوب من بعض فضائله وآثاره كما ذكر شواهد ذلك فى الترجمة.

ومن فضائله: أنه السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة ودفع عقوبتهما.

فيه مسائل :

الأولى : سعة فضل الله .

الثانية : كثرة ثواب التوحيد عند الله .

الثالثة : تكفيره مع ذلك للذنوب .

الرابعة : تفسير الآية التى فى سورة الأنعام .

الخامسة : تأمل الخمس اللواتى فى حديث عبادة .

السادسة : أنك اذا جمعت بينه وبين حديث عتبان وما بعده تبيَّن لك معنى قول «لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله» وتبيَّن لك خطأ المغرورين .

السابعة : التنبيه للشرط الذى فى حديث عتبان .

ومن أجل فوائده: أنه يمنع الخلود فى النار . إذا كان فى القلب منه أدنى مثقال حبة خردل .

وأنه إذا كمل فى القلب يمنع دخول النار بالكلية .

ومنها: أنه يحصل لصاحبه الهدى الكامل والأمن التام فى الدنيا والآخرة . **ومنها:** أنه السبب الوحيد لنيل رضا الله وثوابه، وأن أسعد الناس بشفاعة محمد ﷺ من قال: «لا إله إلا الله» خالصاً من قلبه .

ومن أعظم فضائله: أن جميع الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة متوقفة فى قبولها وفى كمالها وفى ترتب الثواب عليها على التوحيد، فكلما قوى التوحيد والإخلاص لله كملت هذه الأمور وتمت .

ومن فضائله: أنه يسهل على العبد فعل الخير وترك المنكرات

الثامنة: كون الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل «لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهُ».

التاسعة: التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات، مع أن كثيراً يقولها ممن يخف ميزانه.

العاشرة: النص على أن الأرضين سبع كالسماوات.

الحادية عشرة: أن لهن عماراً .

الثانية عشرة: إثبات الصفات خلافاً للأشعرية .

الثالثة عشرة: أنك إذا عرفت حديث أنس عرفت أن قوله في حديث عتبان «فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَن قَالَ لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهَ يَبتَغِي بَذَلكَ وَجهَ اللهِ» أنه ترك الشرك، ليس قولها باللسان.

ويسليه عن المصيبات، فالمخلص لله في إيمانه وتوحيده تخف عليه الطاعات لما يرجو من ثواب ربه ورضوانه ويهون عليه ترك ما تهواه النفس من المعاصي لما يخشى من سخطه وعقابه. **ومنها:** أن التوحيد إذا كمل في القلب حبب الله لصاحبه الإيمان وزينه في قلبه، وكرَّه إليه الكفر والفسوق والعصيان، وجعله من الراشدين.

ومنها: أنه يخفف عن العبد المكاره ويهون عليه الآلام فبحسب تكميل العبد للتوحيد والإيمان يتلقى المكاره والآلام بقلب منشرح ونفس مطمئنة وتسليم ورضا بأقدار الله المؤلمة.

ومن أعظم فضائله: أنه يحرر العبد من رق المخلوقين والتعلق بهم وخوفهم ورجائهم والعمل لأجلهم، وهذا هو العز الحقيقي والشرف

الرابعة عشرة: تأمل الجمع بين كون عيسى ومحمد عبدى الله ورسوليه.

الخامسة عشرة: معرفة اختصاص عيسى بكونه كلمة الله.

السادسة عشرة: معرفة كونه روحاً منه.

السابعة عشرة: معرفة فضل الإيمان بالجنة والنار.

الثامنة عشرة: معرفة قوله «عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ».

التاسعة عشرة: معرفة أن الميزان له كفتان.

العشرون: معرفة ذكر الوجه.

العالي. ويكون مع ذلك متألهًا متعبدًا لله لا يرجو سواه ولا يخشى إلا إياه، ولا ينيب إلا إليه، وبذلك يتم فلاحه ويتحقق نجاحه.

ومن فضائله التى لا يلحقه فيها شىء: أن التوحيد إذا تم وكمل فى القلب وتحقق تحققاً كاملاً بالإخلاص التام، فإنه يصيّر القليل من عمله كثيراً، وتضاعف أعماله وأقواله بغير حصر ولا حساب، ورجحت كلمة الإخلاص فى ميزان العبد بحيث لا تقابلها السموات والأرض. وعمارها من جميع خلق الله كما فى حديث أبى سعيد المذكور فى الترجمة، وفى حديث البطاقة التى فيها لا إله إلا الله التى وزنت تسعة وتسعين سجلاً من الذنوب، كل سجل يبلغ مد البصر. وذلك لكمال إخلاص قائلها. وكم ممن يقولها لا تبلغ هذا المبلغ، لأنه لم يكن فى قلبه من التوحيد والإخلاص الكامل مثل ولا قريب مما قام بقلب هذا العبد.

بـــاب
من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (النحل: ١٢٠). وقال: ﴿وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ (المؤمنون: ٥٩).

عن حُصَين بن عبد الرحمن قال: «كنتُ عندَ سعيد بن جُبير فقال أيكم رأى الكوكبَ الذى انقض البارحة؟ فقلت: أنا، ثم قلت أما إنى لم أكن فى صلاة: ولكنى لدغت، قال: فما صنعت؟ قلت: ارتقيت، قال: فما حملك على ذلك؟ قلت: حديث حدثناه الشعبى.

قال: وما حدثكم؟ قلت: حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنه قال: «لاَ رُقْيَةَ إلاَّ مِن عَينٍ أَو حُمَةٍ» قال: قد أحسن من انتهى

ومن فضائل التوحيد: أن الله تكفل لأهله بالفتح والنصر فى الدنيا والعز والشرف وحصول الهداية والتيسير لليسرى وإصلاح الأحوال والتسديد فى الأقوال والأفعال.

ومنها: أن الله يدافع عن الموحدين أهل الإيمان شرور الدنيا والآخرة، ويمن عليهم بالحياة الطيبة والطمأنينة إليه والطمأنينة بذكره، وشواهد هذه الجمل من الكتاب والسنة كثيرة معروفة، والله أعلم.

باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

قال الشيخ السعدي: وهذا الباب تكميل للباب الذى قبله وتابع له. فإن تحقيق التوحيد تهذيبه وتصفيته من الشرك الأكبر والأصغر،

إلي ما سمع، ولكن حدثنا ابن عباس. عن النبي ﷺ أنه قال: «**عُرِضَت عَلَيَّ الأمَمُ، فَرأيتُ النَّبيَّ ومَعَهُ الرَّهطُ، والنَّبيَّ مَعَهُ الرَّجُلَ والرَّجُلاَن، والنَّبيَّ وليسَ مَعَهُ أحَدٌ، إذ رُفعَ لى سَوادٌ عَظيمٌ فَظَنَنتُ أنَّهُم أُمَّتي، فَقيلَ لى هَذَا مُوسَى وقَومُهُ، فنظَرتُ فَإذَا سَوَادٌ عظيمٌ، فَقيلَ لِيَ: هَذه أُمَّتُكَ، ومَعَهُم سَبعُونَ ألفاً يَدخُلُونَ الجَنَّةَ بغير حِسَاب ولاَ عَذَاب**». ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في أولئك، فقال بعضهم فلعلَّهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ وقال بعضهم: فَلعلَّهم الذين ولدوا فى الإسلام فلم يشركوا بالله شيئاً، وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخبروه.

ومن البدع القولية الاعتقادية، والبدع الفعلية العملية، ومن المعاصى، وذلك بكمال الإخلاص لله فى الأقوال والأفعال والإرادات، وبالسلامة من الشرك الأكبر -المناقض لأصل التوحيد-، ومن الشرك الأصغر المنافى لكماله، وبالسلامة من البدع والمعاصى التى تكدر التوحيد وتمنع كماله، وتعوقه عن حصول آثاره.

فمن حقق توحيده بأن امتلأ قلبه من الإيمان والتوحيد والإخلاص وصدقته الأعمال بأن انقادت لأوامر الله طائعة منيبة مخبتة إلى الله، ولم يجرح ذلك بالإصرار على شيء من المعاصي، فهذا الذى يدخل الجنة بغير حساب ويكون من السابقين إلى دخولها وإلى تبوء المنازل منها.

ومن أخص ما يدل فى تحقيقه كمال القنوت لله وقوة التوكل

فقال: «**هُمُ الذينَ لاَ يَسـتَرقُـونَ وَلاَ يَكتوَون، وَلاَ يَتَطَيَّـرُونَ، وَعَلى رَبِّهِم يَتوكَّلُونَ**». فقام عكاشة بن محصن، فقال: ادع الله أن يَجعلَنى منهم، فَقَـالَ: «**أنتَ منهمَ**». ثم قام رجـل آخر، فقال: أُدعُ اللهَ أن يَجعلَنى منهُم، فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةَ».

فيه مسائل:

الأولى: معرفة مراتب الناس فى التوحيد.

الثانية: ما معنى تحقيقه .

الثالثة: ثناؤه سبحانه على إبراهيم بكونه لم يك من المشركين.

الرابعة: ثناؤه على سادات الأولياء بسلامتهم من الشرك.

الخامسة: كون ترك الرقية والكى من تحقيق التوحيد .

السادسة: كون الجامع لتلك الخصال هو التوكل .

السابعة: عمق علم الصحابة بمعرفة أنهم لم ينالوا ذلك إلا بعمل.

الثامنة: حرصهم على الخير .

على الله، بحيث لا يلتفت القلب إلى المخلوقين فى شأن من شئونه، ولا يستشرف إليهم بقلبه، ولا يسألهم بلسان مقاله أو حاله، بل يكون ظاهره وباطنه وأقواله وأفعاله وحبه وبغضه، وجميع أحواله كلها مقصوداً بها وجه الله متبعاً فيها رسول الله.

التاسعة: فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية.

العاشرة: فضيلة أصحاب موسى.

الحادية عشرة: عرض الأمم عليه، عليه الصلاة والسلام.

الثانية عشرة: أن كل أمة تحشر وحدها مع نبيها.

الثالثة عشرة: قلة من استجاب للأنبياء.

الرابعة عشرة: أن من لم يجبه أحد يأتى وحده.

الخامسة عشرة: ثمرة هذا العلم وهو عدم الاغترار بالكثرة وعدم الزهد فى القلة.

السادسة عشرة: الرخصة فى الرقية من العين والحمة.

السابعة عشرة: عمق علم السلف لقوله (قَد أحَسَنَ مَن انتَهَى إِلَى مَا سَمِعَ وَلَكِن كَذَا وَكَذَا) فعلم أن الحديث الأول لا يخالف الثانى.

الثامنة عشرة: بعد السلف عن مدح الإنسان بما ليس فيه.

التاسعة عشرة: قوله «أَنتَ مِنهُم» علم من أعلام النبوة.

والناس فى هذا المقام العظيم درجات ﴿**وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا**﴾ (الأنعام:132). وليس تحقيق التوحيد بالتمنى ولا بالدعاوى الخالية من الحقائق، ولا بالحلى العاطلة، وإنما ذلك بما وقر فى القلوب من عقائد الإيمان وحقائق الإحسان وصدَّقته الأخلاق الجميلة، والأعمال الصالحة الجليلة.

العشرون: فضيلة عكاشة.

الحادية والعشـرون: استعمال المعاريض.

الثانية والعشرون: حسن خلقه ﷺ.

بـــاب الخــوف مــن الـشــرك

وقول الله عز وجل: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾ (النساء:٤٨). وقال الخليل عليه السلام: ﴿**وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ**﴾ (إبراهيم: ٣٥).

وفي الحديث: «**أَخوَفُ مَا أَخَافُ عَلَيكُم الشِّرْكُ الأَصغَرُ، فسئل عنه؟ فقال: الرِّيَاء**».

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن مَاتَ وَهُوَ يَدعُو من دُونِ الله نداً دَخَلَ النَّارَ**» رواه البخاري.

فمن حقق التـوحيد على هذا الوجه حصلت له جمـيع الفضائل المشار إليها في الباب السابق بأكملها، والله أعلم.

باب الخـوف مـن الشـرك

قال الشيخ السعدي: الشرك في توحيد الإلهية والعبادة ينافي التوحيد كل المنافاة، وهو نوعان: شرك أكبر جليّ، وشرك أصغر خفيّ.

فأمَّا الشِّرْكُ الأكبَرُ: فهو أن يجعل لله نداً يدعـوه كما يدعو الله، أو يخافـه أو يرجوه أو يحبه كحب الله، أو يـصرف له نوعًا

ولمسلم عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن لَقِيَ اللهَ لاَ يُشرِكُ بِهِ شَيْئاً دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَن لَقِيَهُ يُشرِكُ بِهِ شَيْئاً دَخَلَ النَّارَ**».

فيه مسائل:

الأولى: الخوف من الشرك.

الثانية: أن الرياء من الشرك.

الثالثة: أنه من الشرك الأصغر.

الرابعة: أنه أخوف ما يخاف منه على الصالحين.

الخامسة: قرب الجنة والنار.

السادسة: الجمع بين قربهما فى حديث واحد.

من أنواع العبادة، فهذا الشرك لا يبقى مع صاحبه من التوحيد شيء، وهذا المشرك الذى حرم الله عليه الجنة ومأواه النار. ولا فرق فى هذا بين أن يسمى تلك العبادة التى صرفها لغير الله عبادة، أو يسميها توسلاً، أو يسميها بغير ذلك من الأسماء؛ فكل ذلك شرك أكبر؛ لأن العبرة بحقائق الأشياء ومعانيها دون ألفاظها وعباراتها.

وأمَّا الشِّركُ الأَصْغَرُ: فهو جميع الأقوال والأفعال التى يتوسل بها إلى الشرك كالغلو فى المخلوق الذى لا يبلغ رتبة العبادة كالحلف بغير الله ويسير الرياء ونحو ذلك. فإذا كان الشرك ينافى التوحيد ويوجب دخول النار والخلود فيها وحرمان الجنة إذا كان أكبر ولا تتحقق السعادة إلا بالسلامة منه؛ كان حقاً على العبد أن يخاف منه أعظم خوف، وأن

السابعة: أنه من لقيه لا يشرك بـه شيئاً دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار، ولو كان من أعبد الناس.

الثامنة: المسألة العظيمة سؤال الخليل له ولبنيه وقاية عبادة الأصنام.

التاسعة: اعتبـاره بحال الأكثر لقوله: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦].

العاشرة: فيه تفسير (لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ) كما ذكره البخارى.

الحادية عشرة: فضيلة من سَلِم من الشرك.

بـــاب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (يوسف: ١٠٨).

يسعى فى الفرار منه ومن طرقه ووسائله وأسبابه، ويسأل الله العافية منه، كما فعل ذلك الأنبياء والأصفياء وخيار الخلق.

وعلى العبـد أن يجتهد فى تنمـية الإخلاص فى قلبه وتقـويته، وذلك بكمال التعلق بالله تألهًا وإنابة وخوفًـا ورجاء وطمعًا وقصدًا لمرضاته وثوابه فى كل ما يفعله العبـد وما يتركه من الأمور الظاهرة والباطنة، فإن الإخلاص بطبيعته يدفع الشرك الأكبر والأصغر، وكل من وقع منه نوع من الشرك فلضعف إخلاصه.

باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله

قال الشيخ السعدي: وهذا الترتيب الذى صنعه المؤلف فى هذه

عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: إِنَّكَ تَأتِي قَوماً من أَهلِ الكتَابِ فَليكُن أَوّلَ مَا تَدعُوهُم إِلَيه شَهَادَةُ أَن لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله. وفي رواية: إِلَى أَن يُوحِّدُوا اللهَ - فَإِن هُم أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ فَأَعلِمهُم أَنَّ اللهَ افتَرَضَ عَلَيهِم خَمسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يومٍ ولَيلَةٍ، فَإِن هُم أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فَأَعلِمهُم أَنَّ الله افتَرَضَ عَلَيهِم صَدَقَةً تُؤخَذُ من أَغنيَائهم فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائهم، فَإِن هُم أَطَاعُوكَ لِذَلكَ فَإِيَّاكَ وكَرَائمَ أَموَالِهم، واتَّقِ دَعوَةَ المَظلُوم، فَإِنَّهُ لَيسَ بينَهَا وبَينَ الله حِجَابٌ» أخرجاه.

ولهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ. قال يوم خيبر: «لأُعطِيَنَّ الرَّايَةَ غَداً رَجُلاً يُحِبُّ اللهَ ورَسُولَهُ، ويُحِبُّهُ اللهُ ورَسُولُهُ، يَفتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيهِ، فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيلَتَهُم،

الأبواب في غاية المناسبة، فإنه ذكر في الأبواب السابقة وجوب التوحيد وفضله، والحث عليه وعلى تكميله، والتحقق به ظاهراً وباطنًا، والخوف من ضده، وبذلك يكمل العبد نفسه.

ثم ذكر في هذا الباب تكميله لغيره بالدعوة إلى شهادة (أن لاَ إِلَهَ إلاَّ اللَّه) فإنه لا يتم التوحيد حتى يكمل العبد جميع مراتبه ثم يسعى في تكميل غيره، وهذا هو طريق جميع الأنبياء؛ فإنهم أول ما يدعون قومهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له وهي طريقة سيدهم وإمامهم ﷺ لأنه قام بهذه الدعوة أعظم قيام ودعا إلى

أَيُّهُم يُعطَاهَا، فَلَمَّا أَصبَحُوا غَدَوا عَلَى رَسُول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها. فقال: أَينَ عَلِيٌّ بنُ أَبِي طَالِب؟ فقيل: هو يشتكي عينيه، فأرسلوا إليه فأتي به فبصق في عينيه ودعا له فَبَرِئَ كَأَن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية فقال: انفذْ عَلَى رِسلك، حَتَّى تَنزلَ بسَاحَتهِم، ثُمَّ ادعُهُم إِلَى الإِسلاَم، وَأَخبِرهُم بِمَا يَجِبُ عَلَيهِم مِن حَقِّ الله تَعَالَى فِيه، فَوَ الله لأَن يَهدِيَ الله بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيرٌ لَكَ مِن حُمرِ النَّعَمِ». يدوكون: أي يخوضون.

فيه مسائل:

الأولى: أن الدعوة إلى الله طريق من اتبع رسول الله ﷺ.

الثانية: التنبيه على الإخلاص، لأن كثيراً من الناس لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه.

الثالثة: أن البصيرة من الفرائض.

الرابعة: من دلائل حسن التوحيد كونه تنزيها لله تعالى عن المسبة.

سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن، لم يفتر ولم يضعف حتى أقام الله به الدين وهدى به الخلق العظيم، ووصل دينه ببركة دعوته إلى مشارق الأرض ومغاربها، وكان يدعو بنفسه ويأمر رسله وأتباعه أن يدعوا إلى الله وإلى توحيده قبل كل شيء؛ لأن جميع الأعمال متوقفة فى صحتها وقبولها على التوحيد.

فكما أن على العبد أن يقوم بتوحيد الله؛ فعليه أن يدعو العباد

الخامسة: أن من قبح الشرك كونه مسبة لله.

السادسة: -وهى من أهمها- إبعاد المسلم عن المشركين لأن لا يصير منهم ولو لم يشرك.

السابعة: كون التوحيد أول واجب.

الثامنة: أنه يبدأ به قبل كل شئ حتى الصلاة.

التاسعة: أن معنى **«أن يُوَحِّدُوا الله»** معنى شهادة أن لا إله إلا الله.

العاشرة: أن الإنسان قد يكون من أهل الكتاب وهو لا يعرفها أو يعرفها ولا يعمل بها.

الحادية عشرة: التنبيه على التعليم بالتدريج.

الثانية عشرة: البداءة بالأهمّ فَالأهمٍّ.

الثالثة عشرة: مصرف الزكاة.

الرابعة عشرة: كشف العالم الشبهة عن المتعلم.

إلى الله بالتى هى أحسن، وكل من اهتدى على يديه فله مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء.

وإذا كانت الدعوة إلى الله، وإلى شهادة (أن لاَ إِلَهَ إلاَّ اللَّهَ) فرضاً على كل أحد. كان الواجب على كل أحد بحسب مقدوره. فعلى العالم من بيان ذلك والدعوة والإرشاد والهداية أعظم مما على غيره ممن ليس بعالم.

الخامسة عشرة: النهى عن كرائم الأموال.

السادسة عشرة: اتقاء دعوة المظلوم.

السابعة عشرة: الإخبار بأنها لا تحجب.

الثامنة عشرة: من أدلة التوحيد ما جرى على سيد المرسلين وسادات الأولياء من المشقة والجوع والوباء .

التاسعة عشرة: قوله « **لأُعطِيَنَّ الرَّايَةَ**» - إلخ، علم من أعلام النبوة.

العشرون: تفله فى عينيه علَم من أعلامها أيضاً.

الحادى والعشرون: فضيلة علىّ رضى **الله** عنه.

الثانية والعشرون: فضل الصحابة فى دَوكِهم تلك الليلة وشغلهم عن بشارة الفتح.

الثالثة والعشرون: الإيمان بالقدر، لحصولها لمن لم يسع لها ومنعها عمن سعى.

الرابعة والعشرون: الأدب فى قوله: «**عَلَى رِسلكَ**».

الخامسة والعشرون: الدعوة إلى الإسلام قبل القَتال .

السادسة والعشرون: أنه مشروع لمن دُعوا قبل ذلك وقوتلوا.

وعلى القادر ببدنه ويده أو ماله أو جاهه وقوله أعظم مما على من ليست له تلك القدرة.

السابعة والعشرون: الدعوة بالحكمة لقوله: «أخبرهم بما يجب».

الثامنة والعشرون: المعرفة بحق الله في الإسلام.

التاسعة والعشرون: ثواب من اهتدى على يديه رجل واحد.

الثلاثون: الحلف على الفتيا.

باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله

وقول الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً﴾ الآية (الإسراء: ٥٧). وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ الآية (الزخرف: ٢٦-٢٨). وقوله: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ

قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (التغابن: 16)، ورحم الله من أعان على الدين ولو بشطر كلمة، وإنما الهلاك في ترك ما يقدر عليه العبد من الدعوة إلى هذا الدين.

باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله

قال السعدي رحمه الله: هما بمعنى واحد، فهو من باب عطف المترادفين. وهذه المسألة أكبر المسائل وأهمها كما قال المصنف -رحمه الله-.

وحقيقة تفسير التوحيد: العلم والاعتراف بتفرد الرب بجميع صفات الكمال وإخلاص العبادة له.

الله ﴾ الآية (التوبة: ٣١). وقوله: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ**﴾ الآية (البقرة: ١٦٥).

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَن قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِن دُونِ اللهِ حَرمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ**». وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب.

فيه أكبر المسائل وأهمها: وهي تفسير التوحيد، وتفسير الشهادة، وبينهما بأمور واضحة: منها: آية الإسراء، بَيَّن فيها الردَّ على المشركين الذين يدعون الصالحين ففيها بيان أن هذا هو الشرك الأكبر. ومنها: آية براءة بَيَّن فيها أن أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون **الله**، وبين أنهم لم يؤمروا إلاَّ

وذلك يرجع إلى أمرين: نفي الألوهية كلها عن غير الله، بأن يعلم ويعتقد أن لا يستحق الإلهية ولا شيئًا من العبودية أحد من الخلق لا نبي مرسل ولا ملك مقرب ولا غيرهما، وأنه ليس لأحد من الخلق من ذلك حظ ولا نصيب.

والأمر الثاني: إثبات الألوهية لله تعالى وحده لا شريك له وتفرده بمعاني الألوهية كلها وهي نعوت الكمال كلها، ولا يكفي هذا الاعتقاد وحده حتى يحققه العبد بإخلاص الدين كله لله، فيقوم بالإسلام والإيمان والإحسان وبحقوق الله وحقوق خلقه قاصداً بذلك وجه الله وطالباً رضوانه وثوابه.

بأن يعبدوا إلهاً واحداً مع أن تفسيرها الذى لا إشكال فيه طاعة العلماء والعبـاد فى المعصية، لا دعـاء هم إياهم. ومنها: قول الخليل عليه السلام للكفار: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ (الزخرف:٢٦-٢٨). فاستثنى من المعبودين ربه. وذكر سبحانه أن هذه البراءة وهذه الموالاة هى تفسير شهادة أن لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله فقال: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الزخرف:٢٨).

ومنهـا: آية البقـرة فى الكفار الذين قـال الله فيـهم: ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ (البقرة:١٦٧). ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله، فدل على أنهم يحـبون الله حباً عظيـماً، ولم يدخلهم فى الإسلام، فكيف بمن أحب الند أكـبر من حب الله؟ فكيف بمن لم يحب إلا الند وحده ولم يحب الله؟

ومنها: قوله ﷺ: «مَن قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَكَفَرَ بِـمَا يُعْبَد من

ويعلم أن من تمام تفسيـرها وتحقيقها البراءة من عـبادة غير الله، وأن اتخاذ أنداد يحبـهم كحب الله أو يطيعهم كطاعـة الله أو يعمل لهم كما يعمل لله ينافى معنى (لا إله إلا الله) أشد المنافاة.

وبيَّن المصنف رحمه الله أن مـن أعظم ما يبين معنى (لا إله إلا الله) قوله ﷺ: «من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله». فلم يجعل مـجرد التلفظ بها عاصـمًا للدم والمال، بل ولا مـعـرفة مـعناها مع لفظـها، بل ولا الإقـرار

دُون الله حـرمَ مَالُهُ وَدَمُـهُ وَحِسَـابُهُ عَلَى الله». وهذا من أعظم ما يبينَ معنى «**لا إِلَهَ إلاَّ اللّهَ**» فإنه لم يجـعل التلفظ بها عاصـماً للدم والمال، بل ولاَ معـرفة معناها مع لفظهـا، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلاّ **الله** وحدَه لا شريك له، بل لا يحرم مـاله ودمه حتى يضـيف إلى ذلك الكفر بما يعـبد من دون **الله**، فإن شكّ أو توقف لم يحرم ماله ولا دمه. فيالها من مسألة ما أعظمها وأجلها، ويــا له من بيان ما أوضحه، وحجة ما أقطعها للمنازع.

بذلك، بل ولا كـونه لا يدعو إلا الله وحده لا شـريك له، بل لا يحرم ماله ولا دمـه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بمـا يعبد من دون الله، فإنْ شك أو توقف لم يحرم ماله ولا دمه.

فتبيَّن بذلك أنه لابد من اعتقاد وجوب عبادة الله وحده لا شريك له، ومن الإقرار بذلك اعتقاداً ونطقًـا، ولابد من القيام بعبودية الله وحده طـاعة لله وانقـياداً، ولابد من البـراءة مما ينافى ذلك عـقداً وقـولاً وفـعلاً. ولا يتـم ذلك إلا بمحـبة القـائمين بتـوحـيـد الله وموالاتهم ونـصرتهم، وبغض أهل الكفـر والشرك ومـعاداتهم، لا تغنى فى هذا المقام الألفاظ المجردة ولا الدعاوى الخالية من الحقيقة، بل لابد أن يتطابق العـلم والاعتـقـاد والقول والعـمل، فـإن هذه الأشياء متلازمة متى تخلف واحد منها تخلفت البقية، والله أعلم.

بـــاب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ الآية (الزمر: ٣٨).

وعن عمران بن حصين ﷺ: «أن النبي ﷺ رأى رجلاً في يده حلقة من صُفر فقال: ما هذه؟ قال: منَ الواهنَة، فقالَ: انزَعها فَإِنَّهَا لاَ تَزِيدُكَ إلاَّ وَهناً، فَإِنَّكَ لَو متَّ وَهيَ عَلَيكَ مَا أَفلَحتَ أَبَدَاً». رواه أحمد بسند لا بأس به. وله عن عقبة بن عامر

باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

قال الشيخ السعدي: وهذا الباب يتوقف فهمه على معرفة أحكام الأسباب. وتفصيل القول فيها أنه يجب على العبد أن يعرف في الأسباب ثلاثة أمور:

أحدها: أن لا يجعل منها سببًا إلا ما ثبت أنه سبب شرعًا أو قدرًا. **ثانيها:** أن لا يعتمد العبد عليها، بل يعتمد على مسببها ومقدِّرها مع قيامه بالمشروع منها وحرصه على النافع منها. **ثالثها:** أن يعلم أن الأسباب مهما عظمت وقويت فإنها مرتبطة بقضاء الله

مرفوعاً «مَن تَعَلَّق تَميمَةً فَلاَ أَتَمَّ الله لَهُ، وَمَن تَعَلَّق وَدَعَةً فَلاَ وَدَعَ الله لَهُ». وفى رواية: «مَن تَعَلَّقَ تَميمَةً فَقَد أَشرَكَ». ولابن أبى حاتم عن حذيفة أنه رأى رجلاً فى يده خيط من الحمى فقطعه وتلا قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ (يوسف: ١٠٦).

فيه مسائل:

الأولى: التغليظ فى لبس الحلقة والخيط ونحوهما لمثل ذلك.

الثانية: أن الصحابى لو مات وهى عليه ما أفلح، فيه شاهد لكلام الصحابة أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر.

الثالثة: أنه لم يعذر بالجهالة .

الرابعة: أنها لا تنفع فى العاجلة بل تضر، لقوله: « لاَ تَزِيدُكَ إِلاَّ وَهناً » .

الخامسة: الإنكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك .

السادسة: التصريح بأن من تعلق شيئاً وكل إليه .

وقدره لا خروج لها عنه، والله تعالى يتصرف فيها كيف يشاء. إن شاء أبقى سببيتها جارية على مقتضى حكمته ليقوم بها العباد، ويعرفوا بذلك تمام حكمته حيث ربط المسببات بأسبابها والمعلولات بعللها، وإن شاء غيَّرها كيف يشاء لئلا يعتمد عليها العباد وليعلموا كمال قدرته، وأن التصرف المطلق والإرادة المطلقة لله وحده، فهذا هو الواجب على العبد فى نظره وعمله بجميع الأسباب.

السابعة: التصريح بأن من تعلق تميمة فقد أشرك .

الثامنة: أن تعليق الخيط من الحمى من ذلك .

التاسعة: تلاوة حذيفة الآية دليل على أن الصحابة يستدلون بالآيات التى فى الشرك الأكبر على الأصغر، كما ذكر ابن عباس فى آية البقرة .

إذا عُلم ذلك فمَنْ لبس الحلقة أو الخيط أو نحوهما قاصدًا بذلك رفع البلاء بعد نزوله، أو دفعه قبل نزوله فقد أشرك، لأنه إن أعتقد أنها هى الدافعة الرافعة فهذا الشرك الأكبر. وهو شرك فى الربوبية حيث اعتقد شريكًا مع الله فى الخلق والتدبير. وشرك فى العبودية حيث تأله لذلك وعلق به قلبه طمعًا ورجاء لنفعه.

وإن اعتقد أن الله هو الدافع الرافع وحده، ولكن اعتقدها سبباً يستدفع بها البلاء فقد جعل ما ليس سببًا شرعيًا ولا قدريًا سببًا، وهذا محرم وكذب على الشرع وعلى القدر. أما الشرع فإنه ينهى عن ذلك أشد النهى، وما نهى عنه فليس من الأسباب النافعة. وأما القدر فليس هذا من الأسباب المعهودة ولا غير المعهودة التى يحصل بها المقصود، ولا من الأدوية المباحة النافعة، وكذلك هو من جملة وسائل الشرك، فإنه لابد أن يتعلق قلب متعلقها بها، وذلك نوع شرك ووسيلة إليه.

فإذا كانت هذه الأمور ليست من الأسباب الشرعية التى شرعها على لسان نبيه التى يتوسل بها إلى رضاء الله وثوابه، ولا من

العاشرة: أن تعليق الودع من العين من ذلك.

الحادية عشرة: الدعاء على من تعلق تميمة أن الله لا يتم له، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له، أى ترك الله له.

باب ما جاء فى الرقى والتمائم

فى الصحيح عن أبى بَشير الأنصارى ﷺ: «**أنه كان مع رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره، فَأَرسَلَ رَسُولاً أن لاَ يَبْقَيَنَّ في رَقَبةِ بَعِير قِلادَةٌ مِن وَتَرٍ - أو قِلادَةٌ - إلاَّ قُطِعَت**».

الأسباب القدرية التى قد علم أو جرب نفعها مثل الأدوية المباحة؛ كان المتعلق بها متعلقًا قلبه بها راجيًا لنفعها، فيتعين على المؤمن تركها ليتم إيمانه وتوحيده، فإنه لو تم توحيده لم يتعلق قلبه بما ينافيه، وذلك أيضًا نقص فى العقل حيث تعلق بغير متعلق ولا نافع بوجه من الوجوه، بل هو ضرر محض.

والشرع مبناه على تكميل أديان الخلق بنبذ الوثنيات، والتعلق بالمخلوقين، وعلى تكميل عقولهم بنبذ الخرافات والخزعبلات، والجد فى الأمور النافعة المرقية للعقول، المزكية للنفوس. المصلحة للأحوال كلها دينيها ودنيويها، والله أعلم.

باب ما جاء فى الرقى والتمائم

قال الشيخ السعدي: أما التمائم فهى تعاليق تتعلق بها قلوب متعلقيها، والقول فيها كالقول فى الحلقة والخيط كما تقدم.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سَمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إنَّ الرُّقَى وَ التَّمَائمَ وَ التِّوَلَةُ شِركٌ**». رواه أحمد وأبو داود.

«**التمائم**» شئ يعلق على الأولاد يتقون به العين، ولكن إذا كان المعلق من القرآن فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه ويجعله من المنهى عنه، منهم ابن مسعود رضي الله عنه.

و«**الرقى**» هى التى تسمى العزائم، وخص منها الدليل ما خلا من الشرك فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين والحمة.

و«التولة» هى شئ يصنعونه يزعمون أنه يحبِّب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته.

وعن عبد الله بن عُكيم مرفوعاً: «**من تعلق شيئاً وُكِل إليه**» رواه أحمد والترمذى.

فمنها: ما هو شرك أكبر، كالتى تشتمل على الاستغاثة بالشياطين أو غيرهم من المخلوقين. فالاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله شرك، كما سيأتى إن شاء الله.

ومنها: ما هو محرَّم كالتى فيها أسماء لا يفهم معناها لأنها تجر إلى الشرك. وأما التعاليق التى فيها قرآن أو أحاديث نبوية أو أدعية طيبة محترمة فالأولى تركها لعدم ورودها عن الشارع، ولكونها يتوسل بها إلى غيرها من المحرم، ولأن الغالب على متعلقها أنه لا يحترمها ويدخل فيها المواضع القذرة.

وروى أحمد عن رُويفع قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**يَا رُويفع لَعَلَّ الحَيَاةُ ستَطولُ بكَ فَأَخبـر الناس أَنَّ مَن عَقَد لحيَتَهُ أَو تَقَلَّد وتَـراً أَو استنجى بِرَجيع دَابة أَو عظم فَإِنَّ مُحَمَّداً بَرِئٌ مِنهُ**».

وعن سعيد بن جبير قال: «**مَن قَطَعَ تَميمَـةً من إنسَان، كَانَ كَعدل رَقَـبة**» رواه وكيع. وله عن إبراهيم قال: كانوا يكْرهون التَمائم كلهاً من القرآن وغير القرآن.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الرقى والتمائم.

الثانية: تفسير التِّولَة.

الثالثة: أن هذه الثلاثة كلها من الشرك من غير استثناء.

الرابعة: أن الرقية بالكلام الحق من العين والحمة ليس من ذلك.

أما الرقى ففيها تفصيل: فإن كانت من القرآن أو السنة أو الكلام الحسن فإنها مندوبة في حق الراقي؛ لأنها من باب الإحسان، ولما فيها من النفع، وهي جائزة في حق المرقي إلا أنه لا ينبغي له أن يبتدئ بطلبها، فإن من كمال توكل العبد وقوة يقينه أن لا يسأل أحداً من الخلق لا رقية ولا غيرها، بل ينبغي إذا سأل أحداً أن يدعو له أن يلحظ مصلحة الداعي والإحسان إليه بتسببه لهذه العبودية له مع مصلحة نفسه، وهذا من أسرار تحقيق التوحيد ومعانيه البديعة

الخامسة: أن التميمة إذا كانت من القرآن، فقد اختلف العلماء هل هي من ذلك أم لا؟.

السادسة: أن تعليق الأوتار على الدواب عن العين من ذلك.

السابعة: الوعيد الشديد على من علق وتراً.

الثامنة: فضل ثواب من قطع تميمة من إنسان.

التاسعة: أن كلام إبراهيم لا يخالف ما تقدم من الاختلاف لأن مراده أصحاب عبد الله بن مسعود.

بـــاب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما

وقول الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ﴾ الآيات [النجم: ١٩-٢٠].

التى لا يوفق للتفقه فيها والعمل بها إلا الكُمّل من العباد.

وإن كانت الرقية يدعى بها غير الله ويطلب الشفاء من غيره؛ فهذا هو الشرك الأكبر؛ لأنه دعاء واستغاثة بغير الله.

فافهم هذا التفصيل، وإياك أن تحكم على الرقى بحكم واحد مع تفاوتها فى أسبابها وغاياتها.

باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما

قال الشيخ السعدي: أى فإن ذلك من الشرك، ومن أعمال المشركين، فإن العلماء اتفقوا على أنه لا يشرع التبرك بشىء من

عن أبى واقد الليثى، قال: «**خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حُنين ونحن حُدثاءُ عهد بكفر، وللمشركين سدرةٌ يعكفون عندها، ويَنُوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط! كما لهم ذات أنواط، فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبرُ إنَّها السُّنَنُ قُلتُم، والَّذى نفسى بيَده، كَمَا قَالَت بَنُو إسرائيل لِموسَى: ﴿اجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾** (الأعراف: ١٣٨). **لَتَركَبُنَّ سُنَنَ مَن كَان قَبلَكُم**» رواه الترمذى وصححه.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النجم.

الثانية: معرفة صورة الأمر الذى طلبوا.

الثالثة: كونهم لم يفعلوا.

الرابعة: كونهم قصدوا التقرب إلى الله بذلك لظنهم أنه يحبه.

الأشجار والأحجار والبقع والمشاهد وغيرها. فإن هذا التبرك غلو فيها، وذلك يتدرج به إلى دعائها وعبادتها، وهذا هو الشرك الأكبر كما تقدم انطباق الحد عليه، وهذا عام فى كل شيء حتى مقام إبراهيم وحجرة النبى ﷺ وصخرة بيت المقدس وغيرها من البقع الفاضلة. وأما استلام الحجر الأسود وتقبيله واستلام الركن اليمانى

الخامسة: أنهم إذا جهلوا هذا فغيرهم أولى بالجهل .

السادسة: أن لهم من الحسنات والوعد بالمغفرة ما ليس لغيرهم.

السابعة: أن النبي ﷺ لم يعذرهم! بل ردَّ عليهم بقوله: **«الله أكبر إنها السُّنن لتتبعُنَّ سُنَن من كان قبلكم»** فغلظ الأمر بهذه الثلاث.

الثامنة: الأمر الكبير وهو المقصود أنه أخبر أن طلبهم كطلب بني إسرائيل لما قالوا لموسى: اجعل لنا إلهاً .

التاسعة: أن نفي هذا من معنى **(لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله)** مع دقته وخفائه على أولئك.

العاشرة: أنه حلف على الفتيا وهو لا يحلف إلا لمصلحة.

الحادية عشرة: أن الشرك فيه أكبر وأصغر، لأنهم لم يرتدوا بهذا.

الثانية عشرة: قوله : **«ونحنُ حُدثَاءُ عَهدٍ بِكُفرٍ»** فيه أن غيرهم لا يجهل ذلك .

الثالثة عشرة: التكبير عند التعجب خلافاً لمن كرهه .

الرابعة عشرة: سدّ الذرائع .

الخامسة عشرة: النهي عن التشبه بأهل الجاهلية .

من الكعبة المشرفة؛ فهذا عبودية لله وتعظيم لله وخضوع لعظمته فهو روح التعبد.

السادسة عشرة: الغضب عند التعليم .

السابعة عشرة: القاعدة الكلية لقوله: «إِنَّها السُّنَنُ» .

الثامنة عشرة: أن هذا علم من أعلام النبوة، لكونه وقع كما أخبر.

التاسعة عشرة: أن كل ما ذم الله به اليهود والنصارى فى القرآن أنه لنا.

العشرون: أنه مقرر عندهم أن العبادات مبناها على الأمر، فصار فيه التنبيه على مسائل القبر، أما «من ربك» فواضح، وأما «من نبيك» فمن إخباره بأنباء الغيب، وأما «ما دينك» فمن قولهم: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَهًا﴾ إلخ.

الحادية والعشرون: أن سنة أهل الكتاب مذمومة كسنة المشركين.

الثانية والعشرون: أن المنتقل من الباطل الذى اعتاده قلبه لا يؤمَن أن يكون فى قلبه بقية من تلك العادة، لقولهم: «ونَحنُ حُدَثَاءُ عَهد بِكُفرٍ».

فهذا تعظيم للخالق وتعبد له، وذاك تعظيم للمخلوق وتأله له، فالفرق بين الأمرين كالفرق بين الدعاء لله الذى هو إخلاص وتوحيد، والدعاء للمخلوق الذى هو شرك وتنديد.

بـــاب مـا جـاء فـى الذبــح لغيـر الله

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ الآية (الأنعام: ١٦٢، ١٦٣). وقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ (الكوثر: ٢).

وعن عليّ رضي الله عنه قال: «حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات: لَعَنَ الله مَن ذَبَحَ لغير الله، لَعَنَ الله مَن لَعَنَ وَالِدَيه، لَعَنَ الله مَن آوى مُحدِثاً، لَعَنَ الله مَن غَيَّرَ مَنَارَ الأَرض» رواه مسلم.

وعن طارق بن شهاب أن رسول الله ﷺ قال: «دَخَلَ الجَنَّةَ رَجُلٌ في ذُبَاب، وَدَخَلَ النَّارَ رَجُلٌ في ذُبَاب، قالوا: كيف ذلك يا رسولَ الله؟ قال: مَرَّ رَجُلاَنِ عَلَى قَومٍ لَهُمْ صَنَمٌ لاَ يَجُوزُه أَحَدٌ

باب ما جاء فى الذبح لغير الله

قال الشيخ السعدي رحمه الله: أى أنه شرك، فإن نصوص الكتاب والسنة صريحة فى الأمر بالذبح لله، وإخلاص ذلك لوجهه، كما هى صريحة بذلك فى الصلاة، فقد قرن الله الذبح بالصلاة فى عدة مواضع من كتابه. وإذا ثبت أن الذبح لله من أجل العبادات وأكبر الطاعات، فالذبح لغير الله شرك أكبر مخرج عن دائرة الإسلام.

فإن حد الشرك الأكبر وتفسيره الذى يجمع أنواعه وأفراده: «أن يَصرِفَ العبدُ نَوعًا أو فَردًا من أفرَادِ العِبَادَةِ لغَيرِ الله»، فكل اعتقاد أو قول أو عمل ثبت أنه مأمور به من الشارع فصرفه لله وحده

حَتَّى يُقَرِّبَ لَهُ شَيْئاً، فَقَالُوا لأَحَدِهِمَا: قَرِّب فَقَالَ: لَيسَ عندي شيءٌ أُقَرِّبُ، قَالُوا لَهُ: قَرِّب وَلَو ذُبَاباً، فَقَرَّبَ ذُبَاباً، فَخَلُّوا سَبِيلَهُ، فَدَخَلَ النَّارَ، وَقَالُوا للآخَرِ: قَرِّب، فَقَالَ: مَا كُنتُ لأُقَرِّبَ لأَحَدٍ شَيئاً دُونَ الله عَزَّ وَجَلَّ، فَضَرَبُوا عُنُقَهُ فَدَخَلَ الجَنَّةَ» رواه أحمد.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي**﴾.

الثانية: تفسير ﴿**فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ**﴾.

الثالثة: البداءة بلعنة مَن ذبح لغير **الله**.

الرابعة: لعنَ مَن لعنَ والدَيه، و منه أن تلعن والدى الرجل فيلعن والديك.

الخامسة: لعن مَن آوى محدثاً، وهو الرجل يحدث شيئاً يجب فيه حق الله، فيلتجئ إلى من يجيره من ذلك.

السادسة: لعن من غير منار الأرض، وهى المراسيم التي تفرق بين حقك وحق جارك من الأرض فتغيرها بتقديم أو تأخير.

السابعة: الفرق بين لعن المعين ولعن أهل المعاصى على سبيل العموم.

توحيد وإيمان وإخلاص، وصرفه لغيره شرك وكفر، فعليك بهذا الضابط للشرك الأكبر الذى لا يشذ عنه شيء كما أن حد الشرك الأصغر هو: «كُلُّ وَسِيلَةٍ وذَرِيعَةٍ يُتَطَرَّقُ مِنها إِلَى الشِّركِ الأَكبَرِ مِنَ

الثامنة: هذه القصة العظيمة، وهى قصة الذباب.

التاسعة: كونه دخل النار بسبب ذلك الذباب الذى لم يقصده بل فعله تخلصاً من شرهم.

العاشرة: معرفة قدر الشرك فى قلوب المؤمنين، كيف صبر ذلك على القتل ولم يوافقهم على طلبهم، مع كونهم لم يطلبوا إلاَّ العمل الظاهر.

الحادية عشرة: أن الذى دخل النار مسلم، لأنه لو كان كافراً لم يقل: دخل النار فى ذباب.

الثانية عشرة: فيه شاهد للحديث الصحيح: «**الجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُم مِن شِرَاكِ نَعلِه، وَالنَّارُ مِثلُ ذَلِكَ**».

الثالثة عشرة: معرفة أنَّ عملَ القلبِ هو المقصود الأعظم حتى عند عَبَدة الأوثان.

باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

وقول الله تعالى: ﴿لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ

الإرادات والأقوال والأفعال التى لم تبلغ رُتبَةَ العبادة». فعليك بهذين الضابطين للشرك الأكبر والأصغر، فإنه مما يعينك على فهم الأبواب السابقة واللاحقة من هذا الكتاب، وبه يحصل لك الفرقان بين الأمور التى يكثر اشتباهها، والله المستعان.

باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

قال الشيخ السعدى: ما أحسن إتباع هذا الباب بالباب الذى قبله

أوَّلِ يَوْمٍ أحَقُّ أن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أن يَتَطَهَّرُوا واللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ الآية (التوبة: ١٠٨).

وعن ثابت بن الضحاك ﷺ قال: «**نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة، فسأل النبي ﷺ فقال: هَل كَانَ فِيهَا وَثَنٌ من أوثان الجَاهِلِيَّة يُعبَدُ؟ قالوا: لا، قال: فَهَل كَانَ فِيهَا عِيدٌ من أعيَادهم؟ قالوا: لَا، فقال رسول الله ﷺ: أوف بنَذرِكَ، فَإنَّهُ لَا وَفَاءَ لنَذرٍ فِي مَعصِيَةِ الله، وَلَا فِيمَا لَا يَملِكُ ابنُ آدَمَ**» رواهَ أبو داود وإسناده علَى شرطهمَا.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير قوله: ﴿لا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ .

الثانية: أن المعصية قد تؤثر في الأرض، وكذلك الطاعة.

الثالثة: رد المسألة المُشْكَلَة إلى المسألة البيِّنة ليزول الإشكال.

الرابعة: استفصال المفتى إذا احتاج إلى ذلك .

الخامسة: أن تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به إذا خلا من الموانع.

فالذى قبله، من المقاصد، وهذا من الوسائل، ذاك من باب الشرك الأكبر، وهذا من وسائل الشرك القريبة، فإن المكان الذى يذبح فيه المشركون لآلهتهم تقرباً إليها وشركًا بالله قد صار مشعرًا من مشاعر الشرك، فإذا ذبح فيه المسلم ذبيحة ولو قصدها لله فقد تشبه

السادسة: المنع منه إذا كان فيه وثن من أوثان الجاهلية ولو بعد زواله.

السابعة: المنع منه إذا كان فيه عيد من أعيادهم ولو بعد زواله.

الثامنة: أنه لا يجوز الوفاء بما نذر فى تلك البقعة لأنه معصية.

التاسعة: الحذر من مشابهة المشركين فى أعيادهم، ولو لم يقصده. العاشرة: لا نذر فى معصية .

الحادية عشرة : لا نذر لابن آدم فيما لا يملك .

باب من الشرك النذر لغير الله

وقول الله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ (الإنسان: ٧). وقوله: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ (البقرة: ٢٧٠).

بالمشركين وشاركهم فى مشعرهم، والموافقة الظاهرة تدعو إلى الموافقة الباطنة والميل إليهم.

ومن هذا السبب نهى الشارع عن مشابهة الكفار فى شعارهم وأعيادهم وهيئاتهم ولباسهم وجميع ما يختص بهم إبعادًا للمسلمين عن الموافقة لهم فى الظاهر التى هى وسيلة قريبة للميل والركون إليهم، حتى إنه نهى عن الصلاة النافلة فى أوقات النهى التى يسجد المشركون فيها لغير الله خوفًا من التشبه المحذور.

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «مَن نَذَر أَن يُطِيعَ الله فَلْيُطِعهُ، وَمَن نَذَرَ أَن يَعصِيَ الله فَلاَ يَعصِه».

فيه مسائل:

الأولى: وجوب الوفاء بالنذر.

الثانية: إذا ثبت كونه عبادة لله فصرفه إلى غيره شرك.

الثالثة: أن نذر المعصية لا يجوز الوفاء به.

باب من الشرك الاستعاذة بغير الله

وقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ (الجن: ٦).

وعن خولة بنت حكيم رضي الله عنها قالت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَن نَزَلَ مَنزلاً، فَقَالَ أَعُوذُ بِكَلمَات الله التَّامَّات، من شَرِّ مَا خَلَقَ، لَم يَضرهُ شَيءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِن مَنزِلِه ذَلِكَ». رواه مسلم.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الجن.

الثانية: كونه من الشرك.

الثالثة: الاستدلال على ذلك بالحديث لأن العلماء يستدلون به على أن كلمات الله غير مخلوقة، قالوا: لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك.

الرابعة: فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره .

الخامسة: أن كون الشئ يحصل به منفعة دنيوية، من كف شر أو جلب نفع، لا يدل على أنه ليس من الشرك.

باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره

وقول الله تعالى: ﴿ وَلا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (يونس: ١٠٦). وقول الله تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ الآية (يونس: ١٠٧). وقوله: ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ الآية (العنكبوت: ١٧). وقوله: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴾ (الأحقاف: ٥). ﴿ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً

باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره

قال الشيخ السعدي: متى فهمت الضابط السابق في حد الشرك الأكبر وهو أن «من صرف شيئًا من العبادة لغير الله فهو مشرك». فهمت هذه الأبواب الثلاثة التي وَالَى المصنِّفُ بيانها.

وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ الآيتين (الأحقاف: ٦). وقوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾ (النمل: ٦٢). وروى الطبراني بإسناده: أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين فقال بعضهم قوموا بِنَا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق.

فقال رسول الله ﷺ: «**إِنَّهُ لاَ يُسْتَغَاثُ بِي وَإِنَّمَا يُسْتَغَاثُ بِالله**».

فيه مسائل:

الأولى: أن عطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العامِّ على الخاص.

الثانية: تفسير قوله: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾.

الثالثة: أن هذا هو الشرك الأكبر.

الرابعة: أن أصلح الناس لو يفعله إرضاء لغيره صار من الظالمين.

الخامسة: تفسير الآية التي بعدها.

السادسة: كون ذلك لا ينفع في الدنيا مع كونه كفراً.

فإن النذر عبادة مَدَحَ الله الموفين به، وأمر النبي ﷺ بالوفاء بنذر الطاعة، وكل أمر مدحه الشارع أو أثنى على من قام به أو أمر به فهو عبادة؛ فإن العِبَادَةَ «اسمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرضَاهُ مِنَ الأَعمالِ وَالأقوالِ الظَّاهِرَةِ والبَاطِنَةِ» والنذر من ذلك.

السابعة: تفسير الآية الثالثة.

الثامنة: أن طلب الرزق لا ينبغى إلا من الله، كما أن الجنة لا تطلب إلا منه.

التاسعة: تفسير الآية الرابعة.

العاشرة: أنه لا أضل ممن دعا غير الله.

الحادية عشرة: أنه غافل عن دعاء الداعى لا يدرى عنه.

الثانية عشرة: أن تلك الدعوة سبب لبغض المدعو للداعى وعداوته له.

الثالثة عشرة: تسمية تلك الدعوة عبادة للمدعو.

الرابعة عشرة: كفر المدعو بتلك العبادة.

الخامسة عشرة: أن هذه الأمور هى سبب كونه أضل الناس.

السادسة عشرة: تفسير الآية الخامسة.

وكذلك أمر الله بالاستعاذة به وحده من الشرور كلها، وبالاستغاثة به فى كل شدة ومشقة، فهذه إخلاصها لله إيمان وتوحيد، وصرفها لغير الله شرك وتنديد.

والفرق بين الدعاء والاستغاثة أن الدعاء عام فى كل الأحوال، والاستغاثة هى الدعاء لله فى حالة الشدائد، فكل ذلك يتعين إخلاصه لله وحده، وهو المجيب لدعاء الداعين المفرج لكربات

السابعة عشرة: الأمر العجيب وهو إقرار عبدة الأوثان بأنه لا يجيب المضطر إلا الله، ولأجل هذا يدعونه فى الشدائد مخلصين له الدين.

الثامنة عشرة: حماية المصطفى ﷺ حمى التوحيد والتأدب مع الله.

بـــاب

قول الله تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾ (الأعراف: ١٩١، ١٩٢).

المكروبين، ومن دعا غيره من نبى أو ملك أو ولى أو غيرهم أو استغاث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فهو مشرك كافر، وكما أنه خرج من الدين فقد تجرد أيضًا من العقل، فإن أحداً من الخلق ليس عنده من النفع والدفع مثقال ذرة لا عن نفسه ولا عن غيره، بل الكل فقراء إلى الله فى كل شؤونهم.

باب قول الله تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾

قال الشيخ السعدي: هذا شروع فى براهين التوحيد وأدلته، فالتوحيد له من البراهين النقلية والعقلية ما ليس لغيره.

فتقدَّم أن التوحيدين. توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات؛ من أكبر براهينه وأضخمها، فالمتفرد بالخلق والتدبير، والمتوحد فى الكمال المطلق من جميع الوجوه هو الذى لا يستحق

قوله: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ الآية (فاطر: ١٣، ١٤).

وفى الصحيح عن أنس قال: «**شُجَّ النبيُّ ﷺ يوم أُحُد وكسرت رَباعيته، فقال: كَيفَ يُفلِحُ قَومٌ شَجُّوا نَبِيَّهُم؟ فنزلت:** ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾ (آل عمران: ١٢٨) » .

وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه سمع رسول الله ﷺ **يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر: «اللَّهُمَّ العَن فُلاَناً وَ فُلاناً، بعد ما يقول: سَمِعَ الله لمن حمده ربَّنا ولك الحمد » فأنزل الله:** ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾ .

وفى رواية: يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو

العبادة سواه، وكذلك من براهين التوحيد معرفة أوصاف المخلوقين، ومَنْ عبد مع الله فإن جميع ما يعبد من دون الله من ملك وبشر ومن شجر وحجر وغيرها كلهم فقراء إلى الله، عاجزون ليس بيدهم من النفع مثقال ذرة، ولا يخلقون شيئًا وهم يخلقون، ولا يملكون ضراً ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشوراً، والله تعالى هو الخالق لكل مخلوق، وهو الرازق لكل مرزوق، المدبر للأمور كلها، الضار النافع، المعطى المانع، الذى بيده ملكوت كل شيء، وإليه يرجع كل شيء، وله يقصد ويصمد ويخضع كل شيء.

والحارث بن هشام، فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾. وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «**قامَ رسول الله ﷺ حين أنزل عليه:** ﴿وأنذِرْ عَشيرَتَكَ الأقْرَبين﴾ (الشعراء: ٢١٤). فقال: **يَا مَعْشرَ قُرَيش ـ أو كلمة نحوها ـ اشتَرُوا أَنفُسَكُم لاَ أُغْني عَنكُم منَ الله شَيئاً، يَا عَبَّاسُ بنَ عَبد المطَّلب لاَ أُغني عنك منَ الله شَيئاً، يَا صَفيَّةُ عمة رسول الله ﷺ، لاَ أُغني عَنكَ منَ الله شَيئاً، ويَا فَاطمَةُ بنتَ مُحَمَّد سَليني من مَالي مَا شئتِ لاَ أُغني عَنك منَ الله شَيئاً**».

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيتين.

الثانية: قصة أحد.

الثالثة: قنوت سيد المرسلين وخلفه سادات الأولياء يؤمِّنون في الصلاة.

الرابعة: أن المدعو عليهم كفار.

الخامسة: أنهم فعلوا أشياء ما فعلها غالب الكفار منها:

فأي برهان أعظم من هذا البرهان الذي أعاده الله وأبداه في مواضع كثيرة من كتابه، وعلى لسان رسوله، فهو دليل عقلي فطري، كما أنه دليل سمعي نقلي على وجوب توحيد الله، وأنه الحق، وعلى بطلان الشرك.

شجهم نبيهم وحرصهم على قتله، ومنها التمثيل بالقتلى مع أنهم بنو عمهم .

السادسة: أنزل الله عليه فى ذلك: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾ .

السابعة: قوله ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾ فتابَ عليهم فآمنوا .

الثامنة: القنوت فى النوازل .

التاسعة: تسمية المدعو عليهم فى الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم .

العاشرة: لعن المعين فى القنوت .

الحادية عشرة: قصته ﷺ لما أنزل عليه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ .

وإذا كان أشرف الخلق على الإطلاق لا يملك نفع أقرب الخلق إليه وأمسهم به رحمًا، فكيف بغيره؟ فتبًا لمن أشرك بالله وساوى به أحدًا من المخلوقين، لقد سلب عقله بعد ما سلب دينه. فنعوت البارى تعالى وصفات عظمته وتوحده فى الكمال المطلق أكبر برهان على أنه لا يستحق العبادة إلا هو، وكذلك صفات المخلوقات كلها، وما هى عليه من النقص والحاجة والفقر إلى ربها فى كل شئونها، وأنه ليس لها من الكمال إلا ما أعطاها ربها؛ من أعظم البراهين على بطلان إلهية شيء منها. فمن عرف الله وعرف الخلق اضطرته هذه المعرفة إلى عبادة الله

الثانية عشرة: جده ﷺ فى هذا الأمر بحيث فعل ما نسب بسببه إلى الجنون، وكذلك لو يفعله مسلم الآن .

الثالثة عشرة: قوله للأبعد والأقرب «لاَ أُغنى عَنكَ منَ الله شَيئاً» حتي قال: «يَا فَاطمَةُ بنتُ مُحَـمَّد لاَ أُغني عَنك منَ الله شَيئاً» فإذا صرح ـ وهو سـيد المرسلين ـ بأنه لا يغـني شيئـاً عن سيـدة نساء العالمين، وآمن الإنسان أنه ﷺ لا يقول إلاَّ الحق، ثم نظر فيما وقع فى قلوب خواص الناس اليوم، تبيَّن له التوحيد وغربة الدين .

بـــاب

قول الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ (سبأ: ٢٣) .

وفى الصحيح عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**إذَا قَضَى الله الأمـرَ في السَّمَـاءَ ضَرَبَت المَلاَئكَة بأَجنحَـتَهـا خضـعَاناً لقوله كَـأَنَّهُ سلسلَةٌ عَلَى صفَـوان يَنفُذُهم ذلكَ، حَـتَّى إذا فُزِّعَ عَن**

وحده، وإخـلاص الدين له والثناء عليه، وحـمده وشكره بلسـانه وقلبه وأركانه، وانصرف تعلقه بالمخلوقين خوفاً ورجاء وطمعًا، والله أعلم .

باب قول الله تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ ﴾

قال الشيخ السعدي: وهذا أيضًا برهان عظيم آخر على وجوب التوحـيد وبطلان الشـرك، وهو ذكر النصـوص الدالة على كـبرياء

قُلُوبِهِم قَالُوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير، فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرِقُ السَّمعِ، ومُسترِقُ السَّمع هكَذَا بَعضُهُ فَوقَ بَعض ـ وَصَفَهُ سُفيَان بكَفِّه، فَحَرفَهَا وَبَدَّدَ بَينَ أَصَابعه ـ فَيَسمَعُ الكَلمَةَ فَيُلقيهَا إِلَى مَن تَحتَهُ، حتى يلقيها على لسَانَ الساحر أو الكَاهن، فربما أَدرَكَهُ الشِّهَابُ قَبلَ أَن يُلقيَهَا، ورُبَّمَا أَلقَاهَا قَبلَ أَن يُدركَهُ، فَيَكْذبُ مَعَهَا مائةَ كذبَة، فَيُقَالُ: أَلَيسَ قَد قَالَ لَنَا يَومَ كَذَا وَكَذَا: كذا وكَذَا؟ فَيُصَدَّقُ بتلكَ الكَلمَة التي سُمعَت منَ السَّمَاء».

وعن النواس بن سمعان ﷺ قال: «قال رسول الله ﷺ: إذَا أَرَاد الله تَعالى أن يُوحيَ بالأَمر، تَكَلَّمَ بالوَحي أَخَذَت السماوات منهُ رَجفَةٌ ـ أو قال: رعدَة ـ شَديدَةٌ خَوفاً مِّنَ الله عَزَّ وَجَلَّ فإذا سَمعَ ذَلكَ أَهلُ السَّمَاوَات صُعقُوا وَخَرُّوا لله سُجَّداً، فَيَكُونُ أَوَّلُ مَن يَرفَعُ رَأسَهُ جبريلُ. فَيُكَلِّمُهُ الله من وَحيه بمَا أَرَادَ، ثُمَّ يَمُرُّ جبريلُ عَلَى الملائكة، كُلَّمَا مَرَّ بسَمَاء سَأَلَهُ مَلائكَتُهَا: مَاذَا قالَ رَبُّنَا يَا جبريلُ؟ فَيَقُولُ جبريل: قَالَ: الحق، وهو العلي الكبير، فَيَقُولُونَ كُلُّهُم مثلَ مَا قَالَ جبريلُ، فَيَنتَهي جبريلُ بالوَحي إلى حَيثُ أَمَرَهُ الله عزَّ وَجَلَّ».

الرب وعظمته التى تتضاءل وتضمحل عندها عظمة المخلوقات العظيمة، وتخضع له الملائكة والعالم العلوى والسفلى ولا تثبت أفئدتهم عندما يسمعون كلامه أو تتبدى لهم بعض عظمته ومجده،

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآية.

الثانية: ما فيها من الحجة على إبطال الشرك، خصوصاً من تعلق على الصالحين، وهى الآية التى قيل أنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب.

الثالثة: تفسير قوله ﴿قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾.

الرابعة: سبب سؤالهم عن ذلك.

الخامسة: أن جبريل يجيبهم بعد ذلك بقوله ـ قال كذا وكذا.

السادسة: ذكر أن أول من يرفع رأسه جبريل.

السابعة: أنه يقول لأهل السموات كلهم لأنهم يسألونه.

الثامنة: أن الغشى يعمّ أهل السموات كلهم.

التاسعة: ارتجاف السموات لكلام الله.

العاشرة: أن جبريل هو الذى ينتهى بالوحى إلى حيث أمره الله.

فالمخلوقات بأسرها خاضعة لجلاله، معترفة بعظمته ومجده خاضعة له خائفة منه، فمَنْ كان هذا شأنه فهو الرب الذى لا يستحق العبادة أو الحمد والثناء والشكر والتعظيم والتأله إلا هو، ومَنْ سواه ليس له من هذا الحق شيء.

الحادية عشرة: ذكر استراق الشياطين .

الثانية عشرة: صفة ركوب بعضهم بعضاً .

الثالثة عشرة: إرسال الشهب .

الرابعة عشرة: أنه تارة يدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وتارة يلقيها فى أذن وليه من الإنس قبل أن يدركه.

الخامسة عشرة: كون الكاهن يصدق بعض الأحيان.

السادسة عشرة: كونه يكذب معها مائة كذبة.

السابعة عشرة: أنه لم يصدق كذبه إلا بتلك الكلمة التى سمعت من السماء.

الثامنة عشرة: قبول النفوس الباطل، كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمائة؟

التاسعة عشرة: كونهم يتلقى بعضهم من بعض تلك الكلمة ويحفظونها ويستدلون بها.

العشرون: إثبات الصفات خلافاً للأشعرية المعطلة.

فكما أن الكمال المطلق والكبرياء والعظمة ونعوت الجلال والجمال المطلق كلها لله لا يمكن أن يتصف بها غيره، فكذلك العبودية الظاهرة والباطنة كلها حقه تعالى الخاص الذى لا يشاركه فيه مشارك بوجه.

الحادية والعشرون: التصريح بأن تلك الرجفة والغشى خوفاً من الله عز وجل.

الثانية والعشرون: أنهم يخرون لله سجداً.

باب الشفاعة

وقول الله عز وجل: ﴿**وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ**﴾ (الأنعام: ٥١). وقوله: ﴿**قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا**﴾ (الزمر: ٤٤). وقوله: ﴿**مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ**﴾ (البقرة: ٢٥٥). وقوله: ﴿**وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ**﴾ (النجم: ٢٦).

وقوله: ﴿**قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ * وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**﴾ الآيتين [سبأ: ٢٢-٢٣].

باب الشفاعة

قال الشيخ السعدي رحمه الله: إنما ذكر المصنف الشفاعة فى تضاعيف هذه الأبواب؛ لأن المشركين يبررون شركهم ودعاءهم للملائكة والأنبياء والأولياء بقولهم: نحن ندعوهم، مع علمنا أنهم مخلوقون مملوكون، ولكن حيث إن لهم عند الله جاهًا عظيمًا ومقامات عالية

قـال أبو العبـاس: نفى الله عـمـا سواه كل مـا يتـعلق به المشـركون فنفى أن يكون لغـيره ملك أو قـسط منه، أو يكون عوناً لله، ولم يبق إلا الشفاعة، فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب كما قال: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ (الأنبياء: ٢٨). فهذه الشفاعة التى يظنهـا المشركون هى منتفية يوم القيامـة كما نفاها القرآن، وأخبر النبى ﷺ: «**أَنَّهُ يَأتِى فَيَسجُدُ لِرَبِّهِ وَيَحْمَدُهُ ـ لاَ يَبْدَأ بالشَّفَاعَة أَوَّلاً ـ ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: ارفَع رَأسَكَ، وَقُل يُسْمَع، وَسَل تُعطَ، وَاشفَع تُشَفَّع**».

وقال أبو هريرة له ﷺ: «**من أسعد الناس بشـفاعتك؟ قَالَ: مَن قَـالَ لاَ إِلَهَ إلاَّ الله خَالِصـاً من قَلبـه**»، فتلـك الشفاعـة لأهل الإخلاص بإذنَ الله، ولاَ تكونَ لمن أشرك بالله.

وحـقيـقـته أن الله سـبـحانه هو الذى يتـفـضل على أهل الإخلاص فيغفـر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه

ندعوهم ليقربونا إلى الله زلفى وليشفعوا لنا عنده، كما يتقرب إلى الوجهاء عند الملوك والسلاطين ليجـعلوهم وسائط لقضاء حاجاتهم وإدراك مآربهـم. وهذا من أبطل الباطل، وهو تشـبيـه الله العظيم ملك الملوك الذى يخـافه كل أحـد وتخـضع له المخلوقات بأسـرها بالملوك الفقراء المحتاجين للوجهاء والوزراء فى تكميل ملكهم ونفوذ قوتهم. فأبطل الله هذا الزعم، وبيَّن أن الشفـاعة كلها له، كما أن

وينال المقام المحمــود. فالشفاعة الــتى نفاها القرآن ما كان فــيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه فى مواضع، وقد بين النبى ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص. اهـ كلامه.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيات .

الثانية: صفة الشفاعة المنفية .

الثالثة: صفة الشفاعة المثبتة .

الرابعة: ذكر الشفاعة الكبرى، وهى المقام المحمود .

الخامــسة: صفة مــا يفعله ﷺ وأنه لا يبدأ بالشــفاعة، بل يسجد فإذا أذن له شفع.

الملك كله له، وأنه لا يشــفع عنده أحــد إلا بإذنه، ولا يأذن إلا لمن رضى قوله وعمله، ولا يرضى إلا توحيده وإخلاص العمل له.

فبيَّن أن المشرك ليس له حظ ولا نصــيب من الشفاعة. وبيَّن أن الشفــاعة المثبتــة التى تقع بإذنه إنما هى الشــفاعــة لأهل الإخلاص خاصة وإنــها كلها منه، رحمــة منه، وكرامة للشافع، ورحــمة منه وعفواً عن المــشفوع له، وأنه هو المحمــود عليها فى الحقــيقة، وهو الذى أذن لمحمد ﷺ فيهــا وأناله المقام المحمود. فهــذا ما دل عليه الكتاب والسنة فى تفصيل القول فى الشفاعة.

وقد ذكر المصنف -رحمــه الله- كلام الشيخ تقى الدين فى هذا

السادسة : من أسعد الناس بها .
السابعة : أنها لا تكون لمن أشرك بالله .
الثامنة : بيان حقيقتها .

بـــاب قول الله تعالى

﴿ إِنَّكَ لا تَهْـدِي مَنْ أَحْـبَـبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْـدِي مَن يَشَـاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (القصص : ٥٦) .

وفى الصحيح عن ابن المسيب، عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ وعنده عبد الله بـن أبي أمية وأبو جهل، فقـال له: يَا عَمّ قُل لاَ إِلَهَ إلاَّ اللهَ كَلمَةً أُحَاجُّ لَكَ بهَا عندَ الله، فَقَالا لَهُ: أَتَرغَبُ عَن ملَّة عَـبد المُطَّلب؟ فَأعاد عليه النبى ﷺ، فأعـادا فكان آخر مـا قَالَ هو عَلى ملة عـبد المطلب

الموضع وهو كاف شـاف. فالمقصـود فى هذا الباب ذكـر النصوص الدالة على إبطال كل وسـيلة وسبب يتعلق به المـشركون بآلهـتهم، وأنه ليس لهـا من الملك شيء، لا استـقلالاً، ولا مـشاركـة، ولا معـاونة، ولا مظاهرة، ولا من الشـفاعـة شيء. وإنما ذلك كله لله وحده، فتعين أن يكون المعبود وحده.

باب قول الله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾

قال الشيخ السعدي: وهذا الباب أيضًا نظيـر الباب الذى قبله،

وأبى أن يقول لا إله إلا الله . فقال النبي ﷺ : لأستغفرنَّ لكَ ما لمَ أُنهَ عَنكَ، فـأنزل الله عز وجل: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ (التوبة: ١١٣). وأنزل الله في أبي طالب: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (القصص: ٥٦).

فيه مسائل :

الأولى: تفسير ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ .

الثانية: تفسير قوله: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ .

الثالثة: وهي المسألة الكبيرة تفسير قوله «قُل لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله» بخلاف ما عليه من يدعي العلم.

الرابعة : أن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي ﷺ إذ قال للرجل « قل لا إله إلا الله » فقبح الله مَنْ أبو جهلٍ أعلمُ منه بأصل الإسلام .

الخامسة: جِدهُّ ﷺ ومبالغته في إسلام عمه .

وذلك أنه إذا كان ﷺ هو أفضل الخلق على الإطلاق وأعظمهم عند الله جاهًا وأقربهم إليه وسيلة؛ لا يقدر على هداية من أحب هداية التوفيق. وإنما الهداية كلها بيد الله فهو الذي تفرد بهداية القلوب

السادسة: الرد على من زعم إسلام عبد المطلب وأسلافه.
السابعة: كونه ﷺ استغفر له فلم يغفر له، بل نهى عن ذلك.
الثامنة: مضرة أصحاب السوء على الإنسان.
التاسعة: مضرة تعظيم الأسلاف والأكابر.
العاشرة: الشبهة للمبطلين فى ذلك لاستدلال أبى جهل بذلك.
الحادية عشرة: الشاهد لكون الأعمال بالخواتيم لأنه لو قالها لنفعته.
الثانية عشرة: التأمل فى كِبَر هذه الشبهة فى قلوب الضالين لأن فى القصة أنهم لم يجادلوه إلا بها مع مبالغته ﷺ وتكريره، فلأجل عظمتها ووضوحها عندهم اقتصروا عليها.

باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين

وقول الله عز وجل: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ﴾ (النساء: ١٧١).

كما تفرد بخلق المخلوقات، فتبين أنه الإله الحق. وأما قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى:52)، فالمراد بالهداية هنا هداية البيان، وهو ﷺ المبلغ عن الله وحيه الذى اهتدى به الخلق.

باب ما جاء أن سبب كفر بنى آدم وتركهم دينهم هو الغلو فى الصالحين

قال الشيخ السعدي: والغلو هو مجاوزة الحد بأن يجعل

وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ (نوح:٢٣) **قال: هَذه أسماءُ رجال صالحينَ من قَوم نُوحٍ فَلَمَّا هَلَكُوا أَوحَى الشَّيطَانُ إلَى قَومهم أَنْ أنصِبُوا إلَى مَجَالسهم التي كَانُوا يَجْلسُونَ فيهَا أَنصَابًا، وسَمّوهَا بأسَمَائهم، ففعَلُوا ولَم تُعبَد حتَّى إذَا هَلَكَ أُولئكَ ونُسيَ العلمُ عُبدَتَ»**.

وقال ابن القيم رحمه الله: قال غير واحد من السلف:

«لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم».

وعن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تُطرُوني كَمَا أَطرَت النَّصَارَى ابنَ مَريَمَ إنَّما أَنَا عَبدٌ فَقُولُوا عَبدُ الله ورَسولُه**» أخرجاه.

وقال: قال رسول الله ﷺ: «**إيَّاكُم وَ الغُلُوَّ فَإنَّما أَهلَكَ مَن كَانَ قَبلَكُم الغُلُوُّ**». ولمسلم عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «**هَلَكَ المُتَنَطِّعُون**» قالها ثلاثاً.

للصالحين من حقوق الله الخاصة به شيء، فإنَّ حق الله الذي لا يشاركه فيه مشارك، هو الكمال المطلق، والغنى المطلق، والتصرف المطلق من جميع الوجوه، وأنه لا يستحق العبادة والتأله أحد سواه.

فمن غلا بأحد من المخلوقين حتى جعل له نصيبًا من هذه الأشياء فقد ساوى به رب العالمين، وذلك أعظم الشرك. ومن رفع

فيه مسائل:

الأولى: أن من فهم هذا الباب وبابين بعده تبين له غربة الإسلام ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب.

الثانية: معرفة أول شرك حدث على وجه الأرض أنه بشبهة الصالحين.

الثالثة: أول شئ غُيِّر به دين الأنبياء وما سبب ذلك مع معرفة أن الله أرسلهم.

الرابعة: قبول البدع مع كون الشرائع والفطر تردها.

الخامسة: أن سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل.

فالأول: محبة الصالحين.

أحداً من الصالحين فوق منزلته التى أنزله الله بها فقد غلا فيه، وذلك وسيلة إلى الشرك وترك الدين. والناس فى معاملة الصالحين ثلاثة أقسام:

- أهل الجفاء الذين يهضمونهم حقوقهم، ولا يقومون بحقهم من الحب والموالاة لهم والتوقير والتبجيل.
- وأهل الغلو الذين يرفعونهم فوق منزلتهم التى أنزلهم الله بها.
- وأهل الحق الذين يحبونهم ويوالونهم، ويقومون بحقوقهم الحقيقية، ولكنهم يبرؤون من الغلو فيهم وادعاء عصمتهم.

والثـانى: فعل أناس من أهل العلم والدين شـيئـاً أرادوا به خيراً فظن من بعدهم أنهم أرادوا به غيره .

السادسة: تفسير الآية التى فى سورة نوح .

السابعة: جبلَّة الآدمى فى كون الحق ينقص فى قلبه والباطل يزيد.

الثامنة: فيه شاهد لما نقل عن السلف أن البدع سبب للكفر.

التاسـعة: معـرفة الشيطان بما تـؤول إليه البدعـة ولو حسن قصد الفاعل .

العاشرة: معرفة القاعدة الكلية وهى النهى عن الغلو ومعرفة ما يؤول إليه .

الحادية عشرة: مضرة العكوف على القبر لأجل عمل صالح.

الثانية عشرة: معرفة النهي عن التماثيل، والحكمة فى إزالتها.

والصالحون أيضاً يتبرؤون من أن يَدَّعُوا لأنفسهم حقاً من حقوق ربهم الخاصة، كما قال الله عن عيسى ﷺ : ﴿**سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ**﴾ (المائدة:116).

واعلم أن الحقوق ثلاثة:

● حقٌ خاصٌ لله لا يشاركه فيه مـشارك، وهو التأله له وعبادته وحده لا شريك له، والرغبة والإنابة إليه حبًا وخوفاً ورجاءً.

● وحقٌ خـاصٌ للرُّسُلِ، وهو توقـيـرهم وتبـجيلهم والـقيـام بحقوقهم الخاصة.

الثالثة عشرة: معرفة شأن هذه القصة وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها .

الرابعة عشرة: وهى أعجب وأعجب قراءتهم إياها فى كتب التفسير والحديث ومعرفتهم بمعنى الكلام، وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح أفضل العبادات، فاعتقدوا أن ما نهى الله ورسوله عنه فهو الكفر المبيح للدم والمال.

الخامسة عشرة: التصريح بأنهم لم يريدوا إلا الشفاعة.

السادسة عشرة: ظنهم أن العلماء الذين صوروا الصور أرادوا ذلك.

السابعة عشرة: البيان العظيم فى قوله: «لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم» فصلوات الله وسلامه على مَنْ بلغ البلاغ المبين .

الثامنة عشرة: نصيحته إيانا بهلاك المتنطعين .

التاسعة عشرة: التصريح بأنها لم تعبد حتى نُسى العلم، ففيها بيان معرفة قَدْر وجوده ومضرة فقده.

العشرون: أن سبب فقد العلم موت العلماء.

● وحقٌ مُشتَرَكٌ وهو الإيمان بالله ورسله، وطاعة الله ورسله، ومحبة الله ومحبة رسله، ولكن هذه لله أصلاً وللرسل تبعًا لحق الله.

فأهل الحق يعرفون الفرقان بين هذه الحقوق الثلاثة، فيقومون بعبودية الله وإخلاص الدين له، ويقومون بحق رسله وأوليائه على اختلاف منازلهم ومراتبهم، والله أعلم.

بـاب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟

في الصحيح عن عائشة «أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة، وما فيها من الصور، فقال: أولَئك إذَا مَاتَ فيهم الرَّجُلُ الصَّالحُ أَو العَبدُ الصَّالحُ بَنَوا عَلَى قَبره مَسجَداً وَصَوَّرُوا فيه تلكَ الصوَرَ، أُولَئكَ شرَارُ الخَلق عندَ الله». فَهَؤُلاء جَمَعُوا بَينَ الفتنَتَين، فتنَة القُبور، وَفتنَة التَّمَاثيل.

ولهما عنها قالت: «لما نُزل برسول الله ﷺ طَفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتَمَّ بها كشفها فقال -وهو كذلك-: لَعنَةُ اللّه عَلَى اليَهُود وَ النَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أنبيَائهم مَسَاجدَ، يحذر ما صنعوا - ولولاَ ذلك أبرز قبره غير أنه خشى أن يُتخذ مسجداً» أخرجاه.

باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟

قال الشيخ السعدي: ما ذكر المصنف في البابين يتضح بذكر تفصيل القول فيما يفعل عند قبور الصالحين وغيرهم.

وذلك أن ما يفعل عندها نوعان: مَشرُوعٌ ومَمنُوعٌ.

أمَّا المشرُوعُ: فهو ما شرعه الشارع من زيارة القبور على الوجه الشرعي من غير شد رحل، يزورها المسلم متبعًا للسنة فيدعو لأهلها عمومًا ولأقاربه ومعارفه خصوصاً، فيكون محسناً إليهم بالدعاء لهم

ولمسلم عن جندب بن عبد الله قـال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «**إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل فإن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك**». فقد نهى عنه آخر حياته، ثم إنه لعن -وهو في السياق- من فعله، والصلاة عندها من ذلك وإن لم يبن مسجد وهو معنى قولها «خشي أن يتخذ مسجداً».

فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجداً، وكل موضع قُصدت الصلاة فيه فقد اتُخذ مسجداً، بل كل موضع

وطلب العفو والمغفرة والرحمة لهم، ومحسنًا إلى نفسه باتباع السنة وتذكر الآخرة والاعتبار بها والاتعاظ.

وأمَّا المَمنُوعُ فإنه نوعان:

أحدُهُمَا: محرم ووسيلة للشرك كالتمسح بها والتوسل إلى الله بأهلها، والصلاة عندها، وكإسراجها والبناء عليها، والغلو فيها وفي أهلها إذا لم يبلغ رتبة العبادة.

والنَّوعَ الثَّانِي: شرك أكبر كدعاء أهل القبور والاستغاثة بهم وطلب الحوائج الدنيوية والأخروية منهم، فهذا شرك أكبر، وهو عين ما يفعله عُبَّاد الأصنام مع أصنامهم.

يصلى فيه يسمى مسـجداً، كما قال ﷺ : «**جُعلَت ليَ الأرضُ مَسجداً وَ طَهُوراً**». ولأحمد بسند جيـد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: «**إنَّ من شِرَارِ النَّاسِ مَن تُدركُـهُم السَّاعَةُ وَهُم أحـيَاءٌ، وَالذينَ يَتَّخذُونَ القُبُورَ مَسَاجدَ**» ورواه أبو حاتم فى صحيحه.

فيه مسائل :

الأولى: ما ذكر الرسول فيمن بنى مسجداً يعبد الله فيه عند قبر رجل صالح ولو صحت نية الفاعل.

الثانية: النهى عن التماثيل وغلظ الأمر فى ذلك .

الثالثة: العبـرة فى مبالغته ﷺ فى ذلك كيف بين لهم هذا أولاً، ثم قبل موته بخمس قال مـا قال، ثم لما كان فى السياق لم يكتف بما تقدم .

الرابعة: نهيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر .

الخامسة: أنه من سنن اليهود والنصارى فى قبور أنبيائهم.

السادسة: لعنه إياهم على ذلك.

ولا فرق فى هذا بين أن يعتقد الفـاعل لذلك أنهم مستقلون فى تحصيل مطالبه، أو متوسطون إلى الله، فإن المشركين يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ (الزمر:3)، و ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ (يونس:18). فمن زعم أنه لا يكفر من دعا أهل القبور حتى يعتقد أنهم مستقلون بالنفع ودفع الضرر، وأن من اعتقد

السابعة: أن مراده تحذيره إيانا عن قبره.

الثامنة: العلة فى عدم إبراز قبره.

التاسعة: فى معنى اتخاذها مسجداً.

العاشرة: أنه قرن بين من اتخذها مسجداً وبين من تقوم عليه الساعة، فذكر الذريعة إلى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته.

الحادية عشرة: ذكره فى خطبته قبل موته بخمس الرد على الطائفتين اللتين هما أشر أهل البدع، بل أخرجهم بعض أهل العلم من الثنتين والسبعين فرقة وهم الرافضة والجهمية، وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور، وهم أول من بنى عليها المساجد.

الثانية عشرة: ما بلى به رسول الله ﷺ من شدة النزع.

الثالثة عشرة: ما أكرم به من الخلة.

الرابعة عشرة: التصريح بأنها أعلى من المحبة .

الخامسة عشرة: التصريح بأن الصديق أفضل الصحابة.

السادسة عشرة : الإشارة إلى خلافته .

أن الله هو الفاعل وأنهم وسائط بين الله وبين من دعاهم واستغاث بهم يكفر. من زعم ذلك فقد كذَّب ما جاء به الكتاب والسنة، وأجمعت عليه الأمة مِنْ أن مَنْ دعا غير الله فهو مشرك كافر فى الحالين المذكورين سواء اعتقدهم مستقلين أو متوسطين. وهذا معلوم بالضرورة من دين الإسلام.

باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله

روى مالك في «الموطأ»: أن رسول الله ﷺ قال: «**اللَّهُم لاَ تَجعل قَبري وَثَناً يُعبَدُ، اشتَدَّ غَضَبُ الله عَلى قَومٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنبِيَائهم مَسَاجِدَ**». ولابن جرير بسنده.

عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿**أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ**﴾ (النجم:١٩) قال: «كَانَ يَلتُّ لَهُم السَّويقَ، فَمَاتَ، فَعَكَفُوا عَلَى قَبره». وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس: «**كَانَ يَلتُّ السَّوِيقَ للحَاجِّ**».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: « **لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج** » رواه أهل السنن.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الأوثان.

الثانية: تفسير العبادة.

فعليك بهذا التفصيل الذى يحصل به الفرقان فى هذا الباب المهم الذى حصل به من الاضطراب والفتنة ما حصل، ولم ينجُ من فتنته إلا من عرف الحق واتبعه.

باب ما جاء أن الغلو فى قبور الصالحين يصيِّرها أوثاناً تعبد من دون الله

الثالثة: أنه ﷺ لم يستعذ إلا مما يخاف وقوعه.

الرابعة: قرنه بهذا اتخاذ قبور الأنبياء مساجد.

الخامسة: ذكر شدة الغضب من الله.

السادسة: وهى من أهمها معرفة صفة عبادة اللات التى هى من أكبر الأوثان.

السابعة: معرفة أنه قبر رجل صالح.

الثامنة: أنه اسم صاحب القبر، وذكر معنى التسمية.

التاسعة: لعنه زوارات القبور.

العاشرة: لعنه من أسرجها.

بـــاب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك

وقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ * فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (التوبة: ١٢٨، ١٢٩).

باب ما جاء فى حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك

قال الشيخ السعدي رحمه الله: من تأمل نصوص الكتاب والسنة فى هذا الباب رأى نصوصاً كثيرة تحث على القيام بكل ما يقوى التوحيد وينميه ويغذيه، من الحث على الإنابة إلى الله وانحصاره تعلق

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تَجعلُوا بُيوتَكُم قُبُوراً وَلا تجعلُوا قَبـرِيَ عيداً، وصلُّواَ عَلَيَّ فَـإِنَّ صَلاَتَكُم تَبلُغُني حَيثُ كُنتُم**» رواه أبو داود بإسناد حسن، ورواته ثقات.

وعن عليّ بن الحسين رضي الله عنه: **أنه رأى رجلاً يجئ إلى فُـرْجة كانت عند قبر النبي ﷺ، فيدخل فيهـا فيدعو، فنهاه**». وقال: ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي، عن جدي، عن رسول الله ﷺ قال: «**لاَ تَتَّخذُوا قَبرِيَ عيـداً، وَلاَ بُيوتكُم قُبُوراً، وَصلُوا عَلَيَّ فَإِنَّ تَسليمكُم يَبلُغُني حَيثُ كُنتُم**». رواه في «المختارة».

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية براءة.

الثانية: إبعاده أمته عن هذا الحمى غاية البعد.

الثالثة: ذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته.

الرابعة: نهيــه عن زيارة قبره على وجه مــخصوص، مع أن زيارته من أفضل الأعمال.

القلب بالله رغـبة ورهبــة وقوة الطـمع بفضله وإحـسانه والسـعى لتـحصيــل ذلك وإلى التحـرر من رق المخلوقين وعدم التـعلق بهم بوجه من الوجـوه أو الغلو فى أحد منهم. والقــيام التام بالأعـمال الظاهرة والباطنة وتكمــيلها، وخصوصــاً حث النصوص على روح العبودية وهو الإخلاص التام لله وحده.

الخامسة: نهيه عن الإكثار من الزيارة.

السادسة: حثه على النافلة في البيت.

السابعة: أنه متقرر عندهم أنه لا يصلى في المقبرة.

الثامنة: تعليل ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وإن بعد فلا حاجة إلى ما يتوهمه من أراد القرب.

التاسعة: كونه ﷺ في البرزخ تعرض أعمال أمته في الصلاة والسلام عليه.

باب ما جاء أن بعض هذه الأمة تعبد الأوثان

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا

ثم في مقابلة ذلك نهى عن أقوال وأفعال فيها الغلو بالمخلوقين، ونهى عن التشبه بالمشركين؛ لأنه يدعو إلى الميل إليهم. ونهى عن أقوال وأفعال يخشى أن يتوسل بها إلى الشرك كل ذلك حمايةً للتوحيد. ونهى عن كل سبب يوصل إلى الشرك، وذلك رحمة بالمؤمنين ليتحققوا بالقيام بما خلقوا له من عبودية الله الظاهرة والباطنة وتكميلها لتكمل لهم السعادة والفلاح. وشواهد هذه الأمور كثيرة معروفة.

باب ما جاء أن بعض هذه الأمة تعبد الأوثان

قال الشيخ السعدي: مقصود هذه الترجمة الحذر من الشرك والخوف منه، وأنه أمر واقع في هذا الأمة لا محالة، والرد على من

سَبِيلاً ﴾ (النساء: ٥١). وقوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾ (المائدة: ٦٠). وقوله تعالى: ﴿ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ (الكهف: ٢١).

عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن كَانَ قَبلَكُم، حَذوَ القُذَّة بالقُذَّة حَتَّي لَو دَخَلُوا جُحر ضَبٍّ لَدَخَلتُمُوه، قالوا: يا رسول الله، اليَهودُ والنصارى؟ قَالَ: فَمَن؟» أخرجاه.

ولمسلم عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ الله زوَى لِيَ الأرضَ، فَرَأيتُ مشارِقَهَا ومَغَاربهَا، وإنَّ أُمَّتي سَيَبلُغُ مُلكُهَا مَا زَوَى لِيَ منهَا، وأُعطيتُ الكنزين الأحمرَ والأبيضَ، وإنِّي سألتُ رَبِّي لأُمَّتِي أن لاَ يُهلكَهَا بسَنَة بعَامَّة، وأن لاَ يُسَلِّطَ عَلَيهم عَدُوّاً من سوَي أنفسهم فَيَستبيحَ بَيضَتَهُم، وإنَّ ربِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إنِّي إذَا قَضَيتُ قضَاءً فإنه لاَ يُرَدُّ، وإنِّي أَعطَيتُكَ لأُمَّتكَ أن لاَ أُهلكَهُم بسَنَة بعَامَّة وأن لاَ أُسَلِّط عَلَيهم عَدُوّاً من سوَي أنفُسهم فَيَستَبيح بَيضَتَهُم، ولَو اجتَمَعَ عَلَيهم مَن بأَقطَارهَا، حَتَّى يَكُونَ بَعضُهُم يُهلكُ بَعضاً ويَسبي بَعضُهُم بَعضاً». ورواه البرقاني في «صحيحه».

زعم أن من قال: (لا إله إلا الله) وتسمى بالإسلام أنه يبقى على إسلامه ولو فعل ما ينافيه من الاستغاثة بأهل القبور ودعائهم، وسمى ذلك توسلاً لا عبادة، فإن هذا باطل.

وزاد « وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ، وَإِذَا وَقَعَ عَلَيهِم السَّيْفُ لَمْ يُرْفَعْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَلْحَقَ حَيٌّ من أُمَّتِي بالمشركين، وَحَتَّى تَعْبُدَ فِئَامٌ مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ، وَأَنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلاثُونَ كُلُّهُم يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لاَ نَبِيَّ بَعْدِي، وَلاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورَةٌ لاَ يَضُرُّهُم مَنْ خَذَلَهُم وَلاَ مَنْ خَالَفَهُم حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى» .

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النساء . الثانية: تفسير آية المائدة .

الثالثة: تفسير آية الكهف .

الرابعة: ـ وهى أهمها ـ ما معنى الإيمان بالجبت والطاغوت فى هذا الموضع: هل هو اعتقاد قلب أو هو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها؟ .

الخامسة: قولهم: إن الكفار الذين يعرفون كفرهم أهدى سبيلاً من المؤمنين .

السادسة: ـ وهى المقصود بالترجمة ـ أن هذا لابد أن يوجد فى هذه الأمة كما تقرر فى حديث أبى سعيد فى جموع كثيرة .

فإن الوثن: «اسم جامع لكل ما عبد من دون الله»، لا فرق بين الأشجار والأحجار والأبنية، ولا بين الأنبياء والصالحين والطالحين فى هذا الموضع وهو العبادة فإنها حق الله وحده، فمن دعا غير الله

السابعة: تصريحه بوقوعها، أعنى عبادة الأوثان فى هذه الأمة.

الثـامنة: العجب العـجاب: خـروج من يدعى النبوة مـثل المختار مع تكلمه بالشهادتين وتصريحه بأنه من هذه الأمة، وأن الرسول حق، وأن القرآن حق، وفيه أن مـحمداً خاتم النبيين، ومع هذا يُصَدَّق فى هذا كـله مع التضاد الواضح، وقـد خرج فى آخر عصر الصحابة وتبعه فئام كثيرة.

التاسـعة: البشارة بأن الحق لا يزول بالكليـة كما زال فيـما مضى بل لا تزال عليه طائفة.

العـاشـرة: الآية العظمى أنهـم مع قلتـهم لا يضـرهم من خذلهم ولا من خالفهم.

الحادية عشرة: أن ذلك الشرط إلى قيام الساعة.

الثانية عشرة: ما فيه من الآيات العظيمة:

منها إخباره بأن الله زوى له المشارق والمغارب وأخبر بمعنى ذلك، فوقع كما أخبر بخلاف الجنوب والشمال.

وإخبـاره بأنه أُعطى الكنزين. وإخبـاره باجابة دعوته لأمـته فى الاثنتين. وإخباره بأنه منع الثالثـة. وإخباره بوقوع السيف، وأنه لا يرفع إذا وقع. وإخباره بإهلاك بعضهم بعضاً وسبى بعضهم بعضاً،

أو عبده فقد اتخذه وثنًا وخـرج بذلك عن الدين، ولم ينفعه انتسابه إلى الإسلام، فكم انتـسب إلى الإسلام من مـشرك وملحد وكـافر

وخوفه على أمته من الأئمة المضلين، وإخباره بظهور المتنبئين فى هذه الأمة، وإخباره ببقاء الطائفة المنصورة، وكل هذا وقع كما أخبر، مع أن كل واحدة منها من أبعد ما يكون فى العقول.

الثالثة عشرة: حصر الخوف على أمته من الأئمة المضلين.

الرابعة عشرة: التنبيه على معنى عبادة الأوثان.

باب ما جاء فى السحر

وقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ﴾ (البقرة: ١٠٢). وقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ (النساء: ٥١).

قال عمر: «**الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان**».

وقال جابر: «**الطواغيت: كهان، كان ينزل عليهم الشيطان، في كل حي واحد**».

منافق. والعبرة بروح الدين وحقيقته لا بمجرد الأسامى والألفاظ التى لا حقيقة لها.

باب السحر، وباب شيء من أنواع السحر

قال الشيخ السعدي: وجه إدخال السحر فى أبواب التوحيد أن كثيراً من أقسامه لا يتأتى إلا بالشرك والتوسل بالأرواح الشيطانية إلى مقاصد الساحر فلا يتم للعبد توحيد حتى يدع السحر كله قليله وكثيره. ولهذا قرنه الشارع بالشرك، فالسحر يدخل فى الشرك من جهتين:

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**اجتنبوا السبع الموبقات، فقالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشِّرْكُ بالله، وَ السِّحر، وَقَتلُ النَّفس التي حَرَّمَ اللهُ إلاَّ بالحَقِّ، وأَكلُ الرِّبَا، وأَكلُ مال اليَتيم، وَ التَّولِّي يومَ الزَّحف، وَقَذفُ المُحصنَات الغَافلاَت المُؤمنَاتِ**».

وعن جندب مرفوعاً: «**حَدُّ السَّاحرِ ضَربَةٌ بالسَّيفِ**» رواه الترمذي وقال: الصحيح أنه موقوف.

وفي صحيح البخاري عن بجالة بن عبدة قال «**كتب عمر بن الخطاب** رضي الله عنه: **أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، قال: فقتلنا ثلاث سواحر**». وصح عن حفصة رضي الله عنها «**أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقتلت**» وكذلك صح عن جندب.

قال أحمد: عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية البقرة.

الثانية: تفسير آية النساء .

الثالثة: تفسير الجبت والطاغوت والفرق بينهما .

الرابعة: أن الطاغوت قد يكون من الجن وقد يكون من الإنس.

● من جهة ما فيه من استخدام الشياطين، ومن التعلق بهم، وربما تقرب إليهم بما يحبون ليقوموا بخدمته ومطلوبه.

الخامسة: معرفة السبع الموبقات المخصوصات بالنهى.
السادسة: أن الساحر يكفر.
السابعة: أنه يقتل ولا يستتاب.
الثامنة: وجود هذا فى المسلمين على عهد عمر، فكيف بعده؟

باب بيان شىء من أنواع السحر

قال أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا عوف، عن حيان ابن العلاء، حدثنا قطن بن قبيصة، عن أبيه أنه سمع النبى ﷺ قال: «**إنَ العيَافَةَ وَ الطَّرْقَ وَ الطِّيَرةَ منَ الجبت**».

قال عوف: العيافة: زَجرُ الطير، والطرق: الخط يخط بالأرض. والجبت: قال الحسن: رنة الشيطان. إسناده جيد.

ولأبى داود والنسائى وابن حبان فى صحيحه المسند منه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن اقْتَبَسَ شُعْبَةً منَ النّجُوم فقَد اقتَبسَ شُعْبَةً منَ السِّحر، زَاد مَا زَادَ**» رواه أبو داود، وإسناده صحيح. وللنسائى من حديث أبى هريرة: «**مَن عَقَدَ عُقدَةً ثُمَّ نَفَثَ فيهَا فَقَد سَحَرَ، ومَن سَحَر فَقَد أشركَ، ومَن تَعَلَّقَ شيَئاً وكِّلَ إليه**».

● ومن جهة ما فيه من دعوى علم الغيب ودعوى مشاركة الله فى علمه وسلوك الطرق المفضية إلى ذلك، وذلك من شعب الشرك

وعن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «**ألاَ هَل أُنبِّئُكُم مَا العَضَةُ؟ هي النَّميمَةُ القَالةُ بَينَ النّاسِ**» رواه مسلم.

ولهما عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ منَ البيَان لَسحراً**».

فيه مسائل:

الأولى: أن العيافة والطرق والطيرة من الجبت.

الثانية: تفسير العيافة والطرق والطيرة.

الثالثة: أن علم النجوم نوع من السحر.

الرابعة: أن العقد مع النفث من ذلك.

الخامسة: أن النميمة من ذلك.

السادسة: أن من ذلك بعض الفصاحة.

والكفر. وفيه أيضًا من التصرفات المحرَّمة، والأفعال القبيحة كالقتل، والتفريق بين المتحابين، والصرف، والعطف، والسعى فى تغيير العقول، وهذا من أفظع المحرمات، وذلك من الشرك ووسائله، ولذلك تعين قتل الساحر لشدة مضرته وإفساده. ومن أنواعه الواقعة فى كثير من الناس النميمة لمشاركتهم للسحر فى التفريق بين الناس وتغيير قلوب المتحابين وتلقيح الشرور. فالسحر أنواع ودركات بعضها أقبح وأسفل من بعض.

باب ما جاء في الكهان ونحوهم

روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**مَن أتى عرَّافاً فسأله عن شيء فصدَّقه لم تُقبل له صلاة أربعين يوماً**».

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**مَن أتى كاهناً فصدَّقه بما يقولُ فقد كفر بما أُنزلَ على محمَّد ﷺ**» رواه أبو داود.

وللأربعة والحاكم، وقال: صحيح على شرطهما، عن أبي هريرة: «**مَن أتى عرَّافاً أو كاهناً فصدَّقه بما يقولُ فقد كفَرَ بما أُنزلَ على محمَّد ﷺ**».

ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفاً.

وعن عمران بن حصين مرفوعاً: «لَيسَ منَّا مَن تَطَيَّرَ أو تُطُيِّرَ لَهُ، أو تَكَهَّنَ أو تُكُهِّنَ لَهُ، أو سَحَرَ أو سُحِرَ لَهُ، وَمَن أتَى كَاهناً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَد كَفَرَ بِمَا أُنزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ».

باب ما جاء في الكهان ونحوهم

قال الشيخ السعدي: أي من كل من يدعي علم الغيب بأي طريق من الطرق. وذلك أن الله تعالى هو المنفرد بعلم الغيب، فمن ادعى مشاركة الله في شيء من ذلك بكهانة أو عرافة أو غيرها، أو صدق من ادعى ذلك فقد جعل لله شريكًا فيما هو من خصائصه، وقد كذب الله ورسوله.

رواه البزار بإسناد جيد. ورواه الطبراني في «الأوسط» بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله «وَمَن أَتَى» إلى آخره. قال البغوي: العراف الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك. وقيل: هو الكاهن، والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل. قيل: الذي يخبر عما في الضمير.

وقال أبو العباس ابن تيمية: العراف اسم للكاهن، والمنجم، والرمال، ونحوهم، ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق.

وقال ابن عباس في قوم يكتبون أبا جاد، وينظرون في النجوم: «ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق» .

فيه مسائل:

الأولى: لا يجتمع تصديق الكاهن مع الإيمان بالقرآن.

الثانية: التصريح بأنه كفر.

الثالثة: ذكر من تُكُهن له.

وكثير من الكهانة المتعلقة بالشياطين لا تخلو من الشرك والتقرب إلى الوسائط التي تستعين بها على دعوى العلوم الغيبية، فهو شرك من جهة دعوى مشاركة الله في علمه الذي اختص به. ومن جهة التقرب إلى غير الله. وفيه إبعاد الشارع للخلق عن الخرافات المفسدة للأديان والعقول.

الرابعة: ذكر من تُطير له.

الخامسة: ذكر من سحر له.

السادسة: ذكر من تعلم أبا جاد.

السابعة: ذكر الفرق بين الكاهن والعراف.

باب ما جاء في النُّشْرة

عن جابر «**أن رسول الله ﷺ سُئِلَ عَنِ النُّشْرَةِ؟ فقال: هِيَ من عَمَلِ الشَّيطَان**». رواه أحمد بسند جيد، وأبو داود، وقال: سئل أحمد عنها، فقال: ابن مسعود يكره هذا كله.

وفي البخارى عن قتادة قلت لابن المسيب: رجل به طبٌّ أو يؤخَّذُ عن امرأته أيُحَلُّ عنه أو يُنَشَّر؟ قال: لا بأس به، إنما يريدون به الإصلاح فأما ما ينفع فلم يُنه عنه. انتهى. وروى عن الحسن أنه قال: لا يحل السحر إلا ساحر.

قال ابن القيم: النشرة حل السحر عن المسحور، وهى نوعان: حل بسحر مثله وهو الذى من عمل الشيطان، وعليه يحمل قول الحسن، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما

باب النشرة

قال الشيخ السعدي: وهو حل السحر عن المسحور، ذكر فيه المصنف كلام ابن القيم فى التفصيل بين الجائز منه والممنوع، وفيه كفاية.

يحب فيبطل عمله عن المسحور. والثاني - النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة فهذا جائز.

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن النشرة.

الثانية: الفرق بين المنهي عنه والمرخص فيه مما يزيل الإشكال.

باب ما جاء في التطير

وقول الله تعالى: ﴿أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: ١٣١). وقوله: ﴿قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ (يس: ١٩).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لاَ عَدوَى، وَلاَ طِيَرَةَ، وَلاَ هَامَةَ وَلاَ صفر**» أخرجاه. زاد مسلم: «**وَلاَ نَوءَ وَلاَ غُولَ**».

باب الطِّيرة

قال الشيخ السعدي: وهو التشاؤم بالطيور، والأسماء، والألفاظ، والبقاع، وغيرها؛ فنهى الشارع عن التطير وذم المتطيرين، وكان يحب الفأل ويكره الطيرة.

والفرق بينهما: أن الفأل الحسن لا يدخل بعقيدة الإنسان ولا بعقله، وليس فيه تعليق القلب بغير الله، بل فيه من المصلحة النشاط والسرور وتقوية النفوس على المطالب النافعة.

ولهما عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا عَدوَى وَلاَ طِيَرَةَ ويُعجِبُنِي الفَألُ. قالوا: وما الفأل؟ قال: الكَلمَةُ الطَّيِّبَةُ**».

ولأبى داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر قال: ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال: «**أَحسَنُهَا الفَألُ، وَلاَ ترد مُسلماً، فَإذَا رأَىَ أَحَدُكُم مَا يَكرَهُ فَليَقُل: اللَّهُمَّ لاَ يَأتِي بِالحَسَنَات إلاَّ أَنتَ وَلاَ يَدفَعُ السَّيِّئَات إلاَّ أَنتَ، وَلاَ حَولَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ بكَ**».

وله من حديث ابن مسعود مرفوعاً: «**الطِّيَرَةُ شِركٌ، الطِّيَرَةُ شِركٌ، وَمَا مِنَّا إلاَّ... وَلَكنَّ اللهَ يُذهِبُهُ بِالتَّوَكُّل**» رواه أبو داود والترمذى وصححه وجعل آخره من قول ابن مسعود.

ولأحمد من حديث ابن عمرو «**مَن رَدَّتهُ الطِّيَرَةُ عَن حَاجَته فَقَد أَشرَكَ. قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: أَن يَقُولَ اللَّهُمَّ لاَ خَيرَ إلاَّ خَيرُكَ، وَلاَ طَيرَ إلاَّ طَيرُكَ، وَلاَ إلهَ غَيرُكَ**». وله من حديث الفضل بن العباس «**إنَّمَا الطِّيَرَةُ مَا أَمضَاكَ أَو رَدَّكَ**».

وصفة ذلك أن يعزم العبد على سفر أو زواج أو عقد من العقود أو على حالة من الأحوال المهمة، ثم يرى فى تلك الحال ما يسره أو يسمع كلامًا يسره، مثل يا راشد أو سالم أو غانم، فيتفائل ويزداد طمعه فى تيسير ذلك الأمر الذى عزم عليه، فهذا كله خير وآثاره خير، وليس فيه من المحاذير شيء.

وأما الطيرة فإنه إذا عزم على فعل شيء من ذلك من الأمور

فيه مسائل:

الأولى: التنبيــه على قـوله: ﴿ألا إنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ﴾ مع قوله: ﴿قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ﴾.

الثانية: نفى العدوى. الثالثة: نفى الطيرة.

الرابعة: نفى الهامة. الخامسة: نفى الصفر.

السادسة: أن الفأل ليس من ذلك، بل مستحب.

السابعة: تفسير الفأل.

الثامنة: أن الـواقع فى القلوب من ذلك مع كراهتـه لا يضر بل يذهبه الله بالتوكل.

التاسعة: ذكر ما يقول من وجده.

العاشرة: التصريح بأن الطيرة شرك.

الحادية عشرة: تفسير الطيرة المذمومة.

النافعة فى الدين أو فى الدنيا، فيـرى أو يسمع ما يكره أثَّر فى قلبه أحد أمرين، أحدهما أعظم من الآخر:

أحدهما: أن يستجيب لذلك الداعى فيـترك ما كان عازماً على فعله أو بالعكس، فيتطيـر بذلك وينكص عن الأمر الذى كان عازمًا عليه، فهذا كما ترى قد علق قلبه بذلك المكروه غاية التعليق وعمل عليه، وتصرف ذلك المكروه فى إرادته وعـزمه وعمله، فلاشك أنه على هذا الوجه أثر على إيمانه وأخل بتوحـيده وتوكله، ثم بعد هذا

باب ما جاء في التنجيم

قال البخاري في «صحيحه»: قال قتادة: «خَلَقَ اللهُ هَذه النُّجُومَ لثَلاث: زينَةً للسَّمَاء وَرُجُوماً للشَّياطين وَعَلاَمَات يُهتَدَى بهَا، فَمَن تَأَوَّلَ فيهَا غَيرَ ذَلكَ أَخطَأَ، وَ أَضَاعَ نَصيبَهُ، وَتَكَلَّفَ مَا لاَ علَمَ لَهُ بِهِ» انتهى.

لا تسأل عما يُحْدثه له هذا الأمر من ضعف القلب ووهنه وخوفه من المخلوقين وتعلقه بالأسباب وبأمور ليست أسبابًا، وانقطاع قلبه من تعلقه بالله، وهذا من ضعف التوحيد والتوكل ومن طرق الشرك ووسائله، ومن الخرافات المفسدة للعقل.

الأمر الثاني: أن لا يستجيب لذلك الداعي، ولكنه يؤثر في قلبه حزنًا وهمًا وغمًا، فهذا وإن كان دون الأول، لكنه شر وضرر على العبد، وضعف لقلبه وموهن لتوكله. وربما أصابه مكروه فظن أنه من ذلك الأمر فقوى تطيره، وربما تدرج به إلى الأمر الأول. فهذا التفصيل يبين لك وجه كراهة الشارع للطيرة وذمها، ووجه منافاتها للتوحيد والتوكل. وينبغي لمن وجد شيئًا من ذلك وخاف أن تغلبه الدواعي الطبيعية أن يجاهد نفسه على دفعها ويستعين الله على ذلك، ولا يركن إليها بوجه ليندفع الشر عنه.

باب ما جاء في التنجيم

قال الشيخ السعدي: التنجيم نوعان:

نوع يسمى عِلمَ التَّأثير: وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية

وكره قتادة تعلم منازل القمر، ولم يرخص ابن عيينة فيه.

ذكره حرب عنهما. ورخص فى تعلم المنازل أحمد وإسحاق.

وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاثة لا يدخلون الجنة، مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر»** رواه أحمد وابن حبان فى «صحيحه».

فيه مسائل:

الأولى: الحكمة فى خلق النجوم .

الثانية: الرد على من زعم غير ذلك .

الثالثة: ذكر الخلاف فى تعلم المنازل .

الرابعة: الوعيد فيمن صدق بشئ من السحر، ولو عرف أنه باطل.

على الحوادث الكونية؛ فهذا باطل ودعوى لمشاركة الله فى علم الغيب الذى انفرد به أو تصديق لمن ادعى ذلك، وهذا ينافى التوحيد لما فيه من هذه الدعوى الباطلة، ولما فيه من تعلق القلب بغير الله، ولما فيه من فساد العقل؛ لأن سلوك الطرق الباطلة وتصديقها من مفسدات العقول والأديان.

النوع الثانى علم التسيير: وهو الاستدلال بالشمس والقمر والكواكب على القبلة والأوقات والجهات، فهذا النوع لا بأس به، بل كثير منه نافع قد حث عليه الشارع إذا كان وسيلة إلى معرفة أوقات العبادات أو إلى الاهتداء به فى الجهات.

باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء

وقول الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ (الواقعة: ٨٢).

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أَربعٌ في أُمَّتي من أَمر الجَاهليَّة لاَ يَترُكُونَهُنَّ: الفَخرُ بالأَحسَاب، وَالطَّعنُ في الأَنسَاب، وَالاستسقَاءُ بالنُّجُوم، والنياحة». وقال: «النَّائحَةُ إذَا لَم تَتُبْ قَبلَ مَوتهَا. تُقَامُ يَومَ القيَامَة وَعَلَيهَا سربَالٌ من قَطرَان، ودرعٌ من جَرَب» رواه مسلم. ولهما عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال: «صَلى لنا رسولُ الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية، على إثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس، فقال: هَل تَدرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: قَالَ: أَصبَحَ من عبَادي مُؤمنٌ بي وَكَافرٌ، فَأَمَّا مَن قَالَ: مُطرنَا بفَضل الله وَرَحمته، فَذَلكَ مُؤمنٌ بي كَافرٌ بالكَوكَب، وَأَمَّا مَن قالَ: مُطرنَا بنَوء كَذا، وَكَذَا، فَذَلكَ كَافرٌ بي مُؤمنٌ بالكَوكَب».

فيجب التفريق بين ما نهى عنه الشارع وحرمه. وبين ما أباحه أو استحبه أو أوجبه، فالأول هو المنافي للتوحيد دون الثاني.

باب الاستسقاء بالنجوم

قال الشيخ السعدي: لما كان من التوحيد الاعتراف لله بتفرده بالنعم ودفع النقم، وإضافتها إليه قولاً واعترافاً واستعانة بها على طاعته؛ كان قول القائل: «مطرنا بنوء كذا وكذا». ينافي هذا المقصود أشد المنافاة لإضافة المطر إلى النوء. والواجب إضافة المطر

ولهما من حديث ابن عباس بمعناه، وفيه: «قال بعضهم: لقد صدق نوء كذا، وكذا، فأنزل الله هذه الآيات: ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ * لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ * وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ (الواقعة: ٧٥ - ٨٢).

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الواقعة.

الثانية: ذكر الأربع التى من أمر الجاهلية.

الثالثة: ذكر الكفر فى بعضها.

الرابعة: أن من الكفر ما لا يخرج عن الملة.

الخامسة: قوله: «أَصْبَحَ مِن عِبَادِي مُؤمِنٌ بِي وَكَافِرٌ» بسبب نزول النعمة.

السادسة: التفطن للإيمان فى هذا الموضع.

السابعة: التفطن للكفر فى هذا الموضع.

وغيره من النعم إلى الله؛ فإنه الذى تفضل بها على عباده. ثم الأنواء ليست من الأسباب لنزول المطر بوجه من الوجوه، وإنما السبب عناية المولى ورحمته وحاجة العباد وسؤالهم لربهم بلسان الحال ولسان المقال، فينزل عليهم الغيث بحكمته ورحمته بالوقت المناسب لحاجتهم وضرورتهم. فلا يتم توحيد العبد حتى يعترف

الثامنة: التفطن لقوله « **لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا، وكَذَا** ».

التاسعة: إخراج العالم للمتعلم المسألة بالاستفهام عنها لقوله: «**أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟**».

العاشرة: وعيد النائحة.

باب قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ (البقرة: ١٦٥).

وقوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (التوبة: ٢٤).

عن أنس: أن رسول الله ﷺ قال: «**لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُم حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيه من وَلَدِه وَوَالِده وَالنَّاس أَجْمَعِينَ**» أخرجاه.

ولهما عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **ثَلاثٌ مَن كُنَّ فِيه**

بنعم الله الظاهرة والباطنة عليه وعلى جميع الخلق، ويضيفها إليه، ويستعين بها على عبادته وذكره وشكره. وهذا الموضع من محققات التوحيد، وبه يعرف كامل الإيمان وناقصه.

باب قول الله تعالى:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾

قال الشيخ السعدي: أصل التوحيد وروحه إخلاص المحبة لله وحده، وهي أصل التأله والتعبد له، بل هي حقيقة العبادة، ولا يتم التوحيد حتى تكمل محبة العبد لربه، وتسبق محبته جميع المحاب

وَجَدَ بهنَّ حَلاَوَةَ الإيمَان، أَن يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وأَن يُحِبَّ المرءَ لاَ يُحِبُّهُ إلاَّ لله، وأَن يَكرَهَ أَن يَعُودَ في الكُفرِ بَعدَ إذ أَنقَذَهُ اللهُ منهُ كَمَا يَكرَهُ أَن يُقذَفَ في النَّار».

وفى رواية: «لاَ يجدُ أَحَدٌ حلاَوَةَ الإيمَان حَتَّى...» إلى آخره.

وعن ابن عباس قال: «مَنَ أَحَبَّ في الله، وَ أَبغَضَ في الله وَوَالَى في الله، وَعَادَى في الله، فَإِنَّمَا تَنَالُ وَلاَيَةَ الله بذَلكَ، ولَنَ يَجدَ عَبدٌ طَعمَ الإيمَان، وَإن كَثُرَت صَلاَتُهُ وَصَومُهُ حَتَّى يَكُونَ كَذَلكَ، وَقَد صَارَت عَامَّةُ مُؤَاخَاة النَّاسِ عَلَى أَمر الدُّنيَا، وَذَلكَ لاَ يُجدَي عَلَى أَهله شَيئاً» رواه ابن جرير.

وقال ابن عباس فى قوله: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾ (البقرة: ١٦٦). قال: المودة.

وتغلبها، ويكون لها الحكم عليها بحيث تكون سائر محابِّ العبد تبعًا لهذه المحبة التى بها سعادة العبد وفلاحه. ومن تفريعها وتكميلها الحب فى الله، فيحب العبد ما يحبه الله من الأعمال والأشخاص، ويبغض ما يبغضه الله من الأشخاص والأعمال، ويوالى أولياءه، ويعادى أعداءه، وبذلك يكمل إيمان العبد وتوحيده.

أما اتخاذ أنداد من الخلق يحبهم كحب الله ويقدم طاعتهم على طاعة الله ويلهج بذكرهم ودعائهم؛ فهذا هو الشرك الأكبر، الذى لا يغفره الله، وصاحب هذا الشرك قد انقطع قلبه من ولاية العزيز

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية البقرة.

الثانيــة: تفسير آية براءة.

الثالثة: وجوب محبته ﷺ على النفس والأهل والمال.

الرابعة: أن نفي الإيمان لا يدل على الخروج من الإسلام.

الخامسة: أن للإيمان حلاوة قد يجدها الإنسان وقد لا يجدها.

السادســة: أعمــال القلب الأربع التي لا تنال ولاية الله إلا بها، ولا يجد أحد طعم الإيمان إلا بها.

السابعة: فهم الصحابي للواقع: أن عامة المؤاخاة على أمر الدنيا.

الثامنة: تفسير: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾.

التاسعة: أن من المشركين من يحب الله حباً شديداً.

الحميد، وتعلق بغيره ممن لا يملك له شيئًا، وهذا السبب الواهي الذي تعلق به المشركون سينقطع يوم القيامة أحوج ما يكون العبد لعمله، وستنقلب هذه المودة والموالاة بغضا وعداوة.

واعلم أن أنواع المحبة ثلاثة أقسام:

الأول: محبة الله التي هي أصل الإيمان والتوحيد.

الثاني: المحبة في الله، وهي محبة أنبياء الله ورسله وأتباعهم، ومحبة ما يحبه الله من الأعمال والأزمنة والأمكنة وغيرهم، وهذه تابعة لمحبة الله ومكملة لها.

العاشرة: الوعيد على من كانت الثمانية أحب إليه من دينه.
الحادية عشرة: أن من اتخذ نداً تساوى محبته محبة الله فهو الشرك الأكبر.

باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٧٥).

وقوله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ (التوبة: ١٨). وقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ الآية (العنكبوت: ١٠).

الثالث: محبة مع الله، وهى محبة المشركين لآلهتهم وأندادهم من شجر، وحجر، وبشر، وملك، وغيرها، وهى أصل الشرك وأساسه.

وهنا قسم رابع: وهو المحبة الطبيعية التى تتبع ما يلائم العبد ويوافقه من طعام وشراب ونكاح ولباس وعشرة وغيرها، وهذه إذا كانت مباحة إن أعانت على محبة الله وطاعته دخلت فى باب العبادات، وإن صدت عن ذلك وتوسل بها إلى ما لا يحبه الله دخلت فى المنهيات. وإلا بقيت من أقسام المباحات، والله أعلم.

باب قول الله تعالى:
﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ الآية

قال الشيخ السعدي: هذا الباب عقده المصنف -رحمه الله-

وعن أبي سعيد ﷺ مرفوعاً: «**إنَّ من ضَعف اليقين، أن تُرضيَ النَّاسَ بسَخَط الله، وأن تَحمَدَهُم عَلَى رزق الله، وأن تَذُمَّهُم عَلَى مَالَم يُؤتكَ اللهُ، إنَّ رزقَ الله لاَ يَجُرهُ حِرصُ حَرِيص، ولاَ يَردُهُ كَرَاهِيَةُ كَارِه**».

وعن عائشة ﵂: أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن التَمَسَ رضَى الله بسَخط النَّاس ﷺ وأرضَى عَنهُ النَّاسَ، وَمَن التَمَسَ رِضَى النَّاسِ بسَخَط الله سَخطَ اللهُ عَلَيه وأسخَطَ عَلَيه النَّاسَ**». رواه ابن حبان في «صحيحه».

لوجوب تعلق الخوف والخشية بالله وحده، والنهى عن تعلقه بالمخلوقين، وبيان أنه لا يتم التوحيد إلا بذلك.

ولابد فى هذا الموضع من تفصيل يتضح به الأمر ويزول الاشتباه. اعلم أن الخوف والخشية تارة يقع عبادة، وتارة يقع طبيعة وعادة، وذلك بحسب أسبابه ومتعلقاته.

فإن كان الخوف والخشية خوف تأله وتعبد، وتقرب بذلك الخوف إلى من يخافه، وكان يدعو إلى طاعة باطنة وخوف سرى يزجر عن معصية من يخافه كان تعلقه بالله من أعظم واجبات الإيمان وتعلقه بغير الله من الشرك الأكبر الذى لا يغفره الله، لأنه أشرك فى هذه العبادة -التى هى من أعظم واجبات القلب- غير الله مع الله، وربما زاد خوفه من غير الله على خوفه لله.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية آل عمران. الثانية: تفسير آية براءة.

الثالثة: تفسير آية العنكبوت.

الرابعة: أن اليقين يضعف ويقوى.

الخامسة: علامة ضعفه، ومن ذلك: هذه الثلاث.

السادسة: أن إخلاص الخوف لله من الفرائض.

السابعة: ذكر ثواب من فعله.

الثامنة: ذكر عقاب من تركه.

وأيضًا فمن خشى الله وحده على هذا الوجه فهو مخلص موحد، ومن خشى غيره فقد جعل لله نداً فى الخشية، كمن جعل لله نداً فى المحبة. وذلك كمن يخشى من صاحب القبر أن يوقع به مكروهًا أو يغضب عليه فيسلبه نعمة أو نحو ذلك مما هو واقع من عباد القبور.

وإن كان الخوف طبيعياً كمن يخشى من عدو أو سبع أو حية أو نحو ذلك مما يخشى ضرره الظاهري، فهذا النوع ليس عبادة، وقد يوجد من كثير من المؤمنين ولا ينافى الإيمان. وهذا إذا كان خوفاً محققاً قد انعقدت أسباب الخوف فليس بمذموم. وإن كان هذا خوفاً وهمياً كالخوف الذى ليس له سبب أصلاً، أو له سبب ضعيف؛ فهذا مذموم يدخل صاحبه فى وصف الجبناء، وقد تعوذ ﷺ من الجبن فهو من الأخلاق الرذيلة، ولهذا كان الإيمان التام والتوكل

باب قول الله تعالى:

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ الآية (المائدة: ٢٣).

وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ الآية (الأنفال: ٢). وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال: ٦٤). وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (الطلاق: ٣). وعن ابن عباس قال: « ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (آل عمران: ١٧٣) قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ » رواه البخاري والنسائي.

والشجاعة تدفع هذا النوع، حتى أن خواص المؤمنين وأقويائهم تنقلب المخاوف في حقهم أمناً وطمأنينة لقوة إيمانهم وشجاعتهم الشجاعة القلبية، وكمال توكلهم، ولهذا أتبعه بهذا الباب:

باب قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾

قال الشيخ السعدي: التوكل على الله من أعظم واجبات التوحيد والإيمان، وبحسب قوة توكل العبد على الله يقوى إيمانه، ويتم توحيده، والعبد مضطر إلى التوكل على الله والاستعانة به في كل ما يريد فعله أو تركه من أمور دينه أو دنياه.

وحقيقة التوكل على الله: أن يعلم العبد أن الأمر كله لله. وأنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه هو النافع الضار

فيه مسائل:

الأولى: أن التوكل من الفرائض.

الثانية: أنه من شروط الإيمان. الثالثة: تفسير آية الأنفال.

الرابعة: تفسير الآية في آخرها.

الخامسة: تفسير آية الطلاق.

السادسة: عظم شأن هذه الكلمة، وأنها قول إبراهيم عليه السلام ومحمد ﷺ في الشدائد.

باب قول الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (الأعراف: ٩٩).

المعطى المانع، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله، فبعد هذا العلم يعتمد بقلبه على ربه في جلب مصالح دينه ودنياه، وفي دفع المضار ويثق غاية الوثوق بربه في حصول مطلوبه، وهو مع هذا باذل جهده في فعل الأسباب النافعة. فمتى استدام العبد هذا العلم وهذا الاعتماد والثقة؛ فهو المتوكل على الله حقيقةً، وليبشر بكفاية الله له ووعده للمتوكلين، ومتى علق ذلك بغير الله فهو شرك، ومن توكل على غير الله وتعلق به وكل إليه وخاب أمله.

باب قول الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾

قال الشيخ السعدي رحمه الله: مقصود الترجمة أنه يجب على العبد أن يكون خائفًا من الله، راجيًا له راغبًا راهبًا، إن نظر إلى ذنوبه وعدل

وقوله: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ﴾ (الحجر: ٥٦).

وعن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ سُئِلَ عَن الكَبَائِر فقال: «الشِّرْكُ بالله، وَاليَأسُ من رَوْحِ الله، وَالأَمنُ من مكرِ الله».

وعن ابنِ مسعود قال: «أكبرُ الكبائر: الإشراكُ بالله، وَالأَمنُ من مَكرِ الله، وَالقُنوطُ من رَحمَةِ الله، وَ اليأسُ من رَوحِ الله» رواه عبد الرزاق.

الله وشدة عقابه خشى ربه وخافه، وإن نظر إلى فضله العام والخاص وعفوه الشامل رجا وطمع، إن وُفِّق لطاعة رجا من ربه تمام النعمة بقبولها وخاف من ردها بتقصيره فى حقها. وإن ابتلى بمعصية رجا من ربه قبول توبته ومحوها وخشى بسبب ضعف التوبة والالتفات للذنب أن يعاقب عليها، وعند النعم والمسارّ يرجو الله دوامها والزيادة منها والتوفيق لشكرها، ويخشى بإخلاله بالشكر من سلبها، وعند المكاره والمصائب يرجو الله دفعها وينتظر الفرج بحلها، ويرجو أيضًا أن يثيبه الله عليها حين يقوم بوظيفة الصبر ويخشى من اجتماع المصيبتين فوات الأجر المحبوب، وحصول الأمر المكروه إذا لم يوفَّق للقيام بالصبر الواجب، فالمؤمن الموحد فى كل أحواله ملازم للخوف والرجاء، وهذا هو الواجب وهو النافع، وبه تحصل السعادة، ويخشى على العبد من خُلُقين رذيلين:

أحدهما: أن يستولى عليه الخوف حتى يقنط من رحمة الله وروحه.

الثاني: أن يتجارى به الرجاء حتى يأمن مكر الله وعقوبته.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الأعراف. الثانية: تفسير آية الحجر.

فمتى بلغت به الحال إلى هذا فقد ضيَّع واجب الخوف والرجاء اللذين هما من أكبر أصول التوحيد وواجبات الإيمان.

وللقنوط من رحمة الله واليأس من روحه سببان محذوران:

أحدهما: أن يسرف العبد على نفسه ويتجرأ على المحارم فيصرُّ عليها ويصمم على الإقامة على المعصية، ويقطع طمعه من رحمة الله لأجل أنه مقيم على الأسباب التى تمنع الرحمة فلا يزال كذلك حتى يصير له هذا وصفاً وخلقاً لازماً. وهذا غاية ما يريده الشيطان من العبد. ومتى وصل إلى هذا الحد لم يُرْجَ له خير إلا بتوبة نصوح وإقلاع قوي.

الثاني: أن يقوى خوف العبد بما جنت يداه من الجرائم ويضعف علمه بما لله من واسع الرحمة والمغفرة ويظن بجهله أن الله لا يغفر له ولا يرحمه ولو تاب وأناب وتَضْعُفَ إرادته فييأس من الرحمة، وهذا من المحاذير الضارة الناشئة من ضعف علم العبد بربه، وما له من الحقوق، ومن ضعف النفس وعجزها ومهانتها.

فلو عرف هذا ربَّه ولم يخلد إلى الكسل لعلم أن أدنى سعى يوصله إلى ربه وإلى رحمته وجوده وكرمه.

وللأمن من مكر الله أيضًا سببان مهلكان:

أحدهما: إعراض العبد عن الدين وغفلته عن معرفة ربه وما له من الحقوق، وتهاونه بذلك فلا يزال معرضاً غافلاً مقصرًا عن

الثالثة: شدة الوعيد فيمن أمن مكر الله.

الرابعة: شدة الوعيد فى القنوط.

باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله

وقول الله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (التغابن: ١١). قال علقمة: «هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم».

الواجبات منهمكًا فى المحرمات حتى يضمحل خوف الله من قلبه ولا يبقى فى قلبه من الإيمان شيء؛ لأن الإيمان يحمل على خوف الله وخوف عقابه الدنيوى والأخروى.

السبب الثاني: أن يكون العبد عابدًا جاهلاً معجباً بنفسه مغروراً بعمله، فلا يزال به جهله حتى يُدلَّ بعمله ويزول الخوف عنه، ويرى أن له عند الله المقامات العالية فيصير آمناً من مكر الله متكلاً على نفسه الضعيفة المهينة، ومن هنا يخذل ويحال بينه وبين التوفيق، إذ هو الذى جنى على نفسه.

فبهذا التفصيل تعرف منافاة هذه الأمور للتوحيد.

باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله

قال السعدي: أما الصبر على طاعة الله، والصبر عن معصيته، فهو ظاهر لكل أحد أنهما من الإيمان، بل هما أساسه وفرعه. فإن الإيمان كله صبر على ما يحبه الله ويرضاه ويقرب إليه، وصبر عن

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «اثْنَتَان في النَّاسِ هُمَا بِهِم كُفرٌ: الطَّعنُ في النَّسَب، وَ النِّيَاحَةُ عَلَى المَيت». ولهما عن ابن مسعود مرفوعاً: «لَيسَ منَّا مَن ضَرَبَ الخُدُودَ، وَشَقَّ الجُيُوبَ، وَدَعَا بدَعْوى الجَاهليَّة». وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أَرَادَ اللهُ بعَبْده الخَير عَجل لَهُ بالعُقُوبَة في الدُّنيَا، وإذَا أَرَادَ بعَبده الشر أَمسَكَ عَنهُ بذَنبه حَتَّى يُوافي به يَومَ القيَامَة». وقال النبى ﷺ: «إنَّ عظَمَ الجَزَاءَ مَعَ عظَمِ البَلَاء، وإنَّ اللهَ تَعَالَى إذَا أَحَبَّ قَوماً ابتَلَاهُم، فَمَن رَضيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَن سَخطَ فَلَهُ السُّخطُ» حسنه الترمذى.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية التغابن. الثانية: أن هذا من الإيمان بالله.

الثالثة: الطعن فى النسب.

الرابعة: شدة الوعيد فيمن ضرب الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية.

الخامسة: علامة إرادة الله بعبده الخير.

السادسة: علامة إرادة الله بعبده الشر.

محارم الله. فإن الدين يدور على ثلاثة أصول: تصديق خبر الله ورسوله، وامتثال أمر الله ورسوله، واجتناب نهيهما. فالصبر على أقدار الله المؤلمة داخل فى هذا العموم، ولكن خُصَّ بالذكر لشدة

السابعة: علامة حب الله للعبد.

الثامنة: تحريم السخط.

التاسعة: ثواب الرضا بالبلاء.

باب ما جاء في الرياء

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ الآية (الكهف: ١١٠).

وعن أبي هريرة مرفوعاً: «**قال الله تعالى: أنا أَغْنَى الشُّرَكَاء عَنِ الشِّرْك، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**» رواه مسلم.

وعن أبي سعيد مرفوعاً: «**أَلاَ أُخْبِرُكُم بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُم عِنْدِي مِنَ المَسِيحِ الدَّجَّال؟ قالوا: بلى، قال: الشِّرْكُ الخَفِيُّ يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلاَتَهُ، لِمَا يَرَى مِن نَظَرِ رَجُلٍ**». رواه أحمد.

الحاجة إلى معرفته والعمل به. فإن العبد متى علم أن المصيبة بإذن الله، وأن لله أتم الحكمة في تقديرها، وله النعمة السابغة في تقديرها على العبد، رضي بقضاء الله وسلم لأمره وصبر على المكاره، تقرباً إلى الله ورجاءً لثوابه وخوفاً من عقابه واغتناماً لأفضل الأخلاق، فاطمأن قلبه وقوى إيمانه وتوحيده.

باب ما جاء في الرياء ثم قال:

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية الكهف.

الثانية: الأمر العظيم في رد العمل الصالح إذا دخله شئ لغير الله.

الثالثة: ذكر السبب الموجب لذلك، وهو كمال الغنى.

الرابعة: أن من الأسباب أنه تعالى خير الشركاء.

الخامسة: خوف النبى ﷺ على أصحابه من الرياء.

السادسة: أنه فسر ذلك بأن المرء يصلى لله لكن يُزينها لما يرى من نظر رجل.

باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا

وقول الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (هود: ١٥، ١٦).

باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا

قال السعدي: اعلم أن الإخلاص لله أساس الدين، وروح التوحيد، والعبادة وهو أن يقصد العبد بعمله كله وجه الله، وثوابه، وفضله، فيقوم بأصول الإيمان الستة وشرائع الإسلام الخمس، وحقائق الإيمان التى هى الإحسان وبحقوق الله وحقوق عباده، مكملاً لها

وفى الصحيح عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«تَعسَ عَبدُ الدِّينَار، تَعسَ عَبدُ الدِّرهَم، تَعسَ عَبدُ الخَمِيصَة، تَعسَ عَبدُ الخَمِيلَة، إن أُعطِيَ رَضِيَ، وإن لَم يُعطَ سَخِطَ، تَعسَ وَانتَكَسَ، وَإذَا شِيكَ فَلاَ انتَقَشَ، طُوبَى لعَبد، آخذ بعنَان فَرَسه في سَبِيل الله، أشعَثَ رَأسُهُ، مُغبَرَّةٌ قَدَمَاهُ، إن كَانَ في الحِرَاسَة كَانَ فِي الحراسَة، وَإنَ كَانَ في السَّاقَة كَانَ فِي السَّاقَة، إن استَأذَنَ لَم يُؤذَن لَهُ، وَإن شَفَعَ لَم يُشَفَّع»**.

قاصداً بها وجه الله والدار الآخرة، لا يريد بذلك رياء ولا سمعة ولا رياسة، ولا دنيا، وبذلك يتم إيمانه وتوحيده. ومن أعظم ما ينافى هذا مراءاة الناس والعمل لأجل مدحهم وتعظيمهم، أو العمل لأجل الدنيا، فهذا يقدح فى الإخلاص والتوحيد.

واعلم أن الرياء فيه تفصيل: فإن كان الحامل للعبد على العمل قصد مراءاة الناس واستمر على هذا القصد الفاسد فعمله حابط وهو شرك أصغر. ويخشى أن يتذرع به إلى الشرك الأكبر.

وإن كان الحامل على العمل إرادة وجه الله مع إرادة مراءاة الناس، ولم يقلع عن الرياء بعمله، فظاهر النصوص أيضًا بطلان هذا العمل. وإن كان الحامل للعبد على العمل وجه الله وحده، ولكن عرض له الرياء فى أثناء عمله، فإن دفعه وخلّص إخلاصه لله لم يضره، وإن ساكنه واطمأن إليه نقص العمل وحصل لصاحبه من ضعف الإيمان والإخلاص بحسب ما قام فى قلبه من الرياء، وتقاوم العمل لله وما خالطه من شائبة الرياء.

فيه مسائل:

الأولى: إرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة.

الثانية: تفسير آية هود.

الثالثة: تسمية الإنسان المسلم عبدَ الدينار والدرهم والخميصة.

الرابعة: تفسير ذلك بأنه إن أعطى رضى، وإن لم يعط سخط.

والرياء آفة عظيمة ويحتاج إلى علاج شديد وتمرين النفس على الإخلاص ومجاهدتها فى مدافعة خواطر الرياء والأغراض الضارة والاستعانة بالله على دفعها لعل الله يخلص إيمان العبد ويحقق توحيده.

وأما العمل لأجل الدنيا وتحصيل أغراضها؛ فإن كانت إرادة العبد كلها لهذا المقصد ولم يكن له إرادة لوجه الله والدار الآخرة، فهذا ليس له فى الآخرة من نصيب. وهذا العمل على هذا الوصف لا يصدر من مؤمن، فإن المؤمن -ولو كان ضعيف الإيمان- لابد أن يريد الله والدار الآخرة.

وأما من عمل العمل لوجه الله ولأجل الدنيا، والقصدان متساويان أو متقاربان؛ فهذا وإن كان مؤمناً فإنه ناقص الإيمان والتوحيد والإخلاص، وعمله ناقص لفقده كمال الإخلاص.

وأما من عمل لله وحده وأخلص فى عمله إخلاصًا تاماً، ولكنه يأخذ على عمله جعلاً ومعلوماً يستعين به على العمل والدين، كالجعالات التى تجعل على أعمال الخير، وكالمجاهد الذى يترتب

الخامسة: قوله: «تَعِسَ وَ انتكَسَ» .

السادسة: قوله: «وإذا شيك فلا انتقش».

السابعة: الثناء على المجاهد الموصوف بتلك الصفات.

باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أرباباً من دون الله

وقال ابن عباس: « **يُوشكُ أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله ﷺ ، وَتقولون: قال أبو بكر وعمر؟** » .

على جهاده غنيمة أو رزق، وكالأوقاف التي تجعل على المساجد والمدارس والوظائف الدينية لمن يقوم بها، فهذا لا يضر أخذه في إيمان العبد وتوحيده لكونه لم يُرِد بعمله الدنيا، وإنما أراد الدين وقصد أن يكون ما حصل له معينًا له على قيام الدين.

ولهذا جعل الله في الأموال الشرعية كالزكوات وأموال الفيء وغيرها جزءًا كبيراً لمن يقوم بالوظائف الدينية والدنيوية النافعة، كما قد عرف تفاصيل ذلك.

فهذا التفصيل يبين لك حكم هذه المسألة كبيرة الشأن، ويوجب لك أن تنزِّل الأمور منازلها، والله أعلم.

باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرمه فقد اتخذهم أربابًا

وقال أحمد بن حنبل: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأى سفيان، والله تعالى يقول: ﴿ **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ (النور: ٦٣). أتدرى ما الفتنة؟ الفتنة الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع فى قلبه شئ من الزيغ فيهلك.

وعن عدى بن حاتم: «**أنه سمع رسول الله ﷺ يقرأ هذه الآية:** ﴿ **اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ** ﴾ (التوبة: ٣١) **فقلت له: إنا لسنا نعبدهم، قال: أَلَيسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتُحِلُّونَهُ؟ فقلت: بلى، قال: فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ**» رواه أحمد والترمذى وحسنه.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية النور.

الثانية: تفسير آية براءة.

الثالثة: التنبيه على معنى العبادة التى أنكرها عدى.

الرابعة: تمثيل ابن عباس بأبى بكر وعمر، وتمثيل أحمد بسفيان.

الخامسة: تغير الأحوال إلى هذه الغاية حتى صار عند الأكثر عبادة الرهبان هى أفضل الأعمال، وتسمى الولاية، وعبادة الأحبار هى العلم والفقه، ثم تغيرت الأحوال إلى أن عبد من دون الله من ليس من الصالحين، وعبد بالمعنى الثانى من هو من الجاهلين.

بـــاب

قول الله تـعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا * فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ (النساء: ٦٠-٦٢). وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ (البقرة: ١١). وقوله: ﴿وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأعراف: ٥٦). وقوله: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (المائدة: ٥٠).

وعن عبد الله بن عـمرو أن رسول الله ﷺ قال: «لاَ يُؤْمِنُ

باب قول الله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ ....﴾

قال الشيخ السعدي: ووجه ما ذكره المصنف ظاهر، فإن الرب والإله هو الذى لـه الحكم القـدري، والحكم الشـرعي، والحكم الجزائى، وهو الذى يؤله ويعـبد وحده لا شـريك له، ويطاع طاعة مطلقة، فلا يعـصى بحيث تكون الطاعات كلها تبعًا لـطاعته. فإذا اتخذ العبـد العلماء والأمراء على هذا الوجه، وجـعل طاعتهم هى

أَحَدُكُم حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعاً لِمَا جِئْتُ بِهِ». قال النووي: حديث صحيح. رويناه في كتاب «الحجة» بإسناد صحيح.

وقال الشعبي: كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة، فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد - لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة - وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود - لعلمه أنهم يأخذون الرشوة - فاتفقا أن يأتيا كاهناً في جهينة فيتحاكما إليه، فنزلت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ الآية (النساء: ٦٠).

وقيل: نزلت في رجلين اختصما، فقال أحدهما: نترافع إلى النبي ﷺ، وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف، ثم ترافعا إلى عمر، فذكر له أحدهما القصة فقال للذي لم يرض برسول الله ﷺ: أَكَذلِكَ؟ قال: نعم، فضربه بالسيف فقتله.

الأصل وطاعة الله ورسوله تبعًا لها فقد اتخذهم أربابًا من دون الله يتألههم ويحاكم إليهم ويقدِّم حكمهم على حكم الله ورسوله، فهذا هو الكفر بعينه، فإن الحكم كله لله، كما أن العبادة كلها لله.

والواجب على كل أحد أن لا يتخذ غير الله حكمًا، وأن يرد ما تنازع فيه الناس إلى الله ورسوله، وبذلك يكون دين العبد كله لله وتوحيده خالصاً لوجه الله. وكل من حاكم إلى غير حكم الله ورسوله فقد حاكم إلى الطاغوت، وإن زعم أنه مؤمن فهو كاذب. فالإيمان لا يصح ولا يتم إلا بتحكيم الله ورسوله في أصول الدين وفروعه، وفي

فيه مسائل

الأولى: تفسير آية النساء وما فيها من الإعانة على فهم الطاغوت.

الثانية: تفسير آية البقرة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ﴾ الآية.

الثالثة: تفسير آية الأعراف: ﴿وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا﴾.

الرابعة: تفسير: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾.

الخامسة: ما قاله الشعبى فى سبب نزول الآية الأولى.

السادسة: تفسير الإيمان الصادق والكاذب.

السابعة: قصة عمر مع المنافق.

الثامنة: كون الإيمان لا يحصل لأحد حتى يكون هواه تبعاً لما جاء به الرسول ﷺ.

باب من جحد شيئا من الأسماء والصفات

وقول الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ (الرعد: ٣٠).

كل الحقوق كما ذكره المصنف فى الباب الآخر. فمن حاكم إلى غير الله ورسوله فقد اتخذ ذلك رباً وقد حاكم إلى الطاغوت.

باب من جحد شيئًا من الأسماء والصفات

قال الشيخ السعدي: أصل الإيمان وقاعدته التى ينبنى عليها هو الإيمان بالله، وبأسمائه، وصفاته. وكلما قوى علم العبد بذلك

وفي صحيح البخاري قال علي: «**حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ، أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ؟**». وروى عبد الرزاق، عن مَعْمَر، عن ابن طاوس، عن أبيه. عن ابن عباس: «**أنه رأى رجلاً انتفض لما سمع حديثاً عن النبي ﷺ في الصفات استنكاراً لذلك، فقال: ما فَرَق هؤلاء؟ يجدون رقة عند مُحكمه ويهلكون عند مُتَشَابهه**» انتهى. ولما سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكر الرحمن أنكروا ذلك فأنزل الله فيهم: ﴿**وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ**﴾ (الرعد: ٣٠).

فيه مسائل:

الأولى: عدم الإيمان بجحد شيء من الأسماء والصفات.

الثانية: تفسير آية الرعد.

الثالثة: ترك التحديث بما لا يفهم السامع.

الرابعة: ذكر العلة، أنه يفضي إلى تكذيب الله ورسوله، ولو لم يتعمد المنكر.

الخامسة: كلام ابن عباس لمن استنكر شيئاً من ذلك، وأنه أهلكه.

وإيمانه به، وتعبد لله بذلك، قوى توحيده، فإذا علم أن الله متوحد بصفات الكمال متفرد بالعظمة والجلال والجمال ليس له في كماله مثيل، أوجب له ذلك أن يعرف ويتحقق أنه هو الإله الحق، وأن إلهية ما سواه باطلة، فمن جحد شيئًا من أسماء الله وصفاته فقد أتى بما يناقض التوحيد وينافيه، وذلك من شعب الكفر.

بـــاب قول الله تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (النحل: ٨٣).

قال مجـاهد ما معناه: «هو قول الرجل: هـذا مالى، ورثته عن آبائى». وقال عـون بن عبد الله: «يقـولون: لولا فلان لم يكن كـذا وكذا». وقـال ابن قتـيبـة: «يقولون: هذا بشـفاعـة آلهتنا». وقـال أبو العبـاس ـ بعد حديث زيـد بن خالد، الذى فيه: «أن اللّٰه تعالى قال: أصبح من عـبادى مؤمنٌ بى وكافر» ـ الحديـث ـ وقد تقـدم: «وهذا كثـير فى الكتـاب والسنة، يَذُمّ سبحانه مَن يُضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به».

قال بعض السلف: هو كقولـهم كانت الريح طيبة، والملاح حاذقاً، ونحو ذلك مما هو جار على ألسنة كثيرة.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير معرفة النعمة وإنكارها.

باب قول الله تعالى: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾

قال الشيخ السعدي رحمه الله: الواجب على الخلق إضافة النعم إلى الله قولاً واعترافـاً كما تقدم، وبذلك يتم التوحـيد، فمن أنكر نعم الله بقلبه ولسانه فذلك كافر، ليس معه من الدين شيء.

ومن أقـر بقلبه أن النـعم كلها من اللـه وحده، وهو بلسـانه تارة يضيفها إلى الله، وتارة يضيفها إلى نفسه وعمله وإلى سعى غيره كما

الثانية: معرفة أن هذا جار على ألسنة كثيرة.

الثالثة: تسمية هذا الكلام إنكاراً للنعمة.

الرابعة: اجتماع الضدين في القلب .

بـــاب

قول الله تعالى: ﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٢).

قــال ابن عبــاس في الآية: **«الأنداد هو الشــرك، أخـفى من دبيب النمل على صـفـاة سوداء في ظلمـة الليل، وهو أن نقـول: والله، وحـياتك يا فـلان، وحيـاتي، وتقـول: لولا كليبـة هذا لأتانا اللصـوص، ولولا البط في الدار لأتانا اللصـوص، وقـول الرجل**

هو جارٍ على ألسنة كثير من الناس، فـهذا يجب على العبد أن يتوب منه وأن لا يضيف النعم إلا إلى موليها، وأن يجاهد نفسه على ذلك، ولا يتحقق الإيمان والتوحيد إلا بإضافة النعم إلى الله قولاً واعترافاً.

فإن الشكر الذي هو رأس الإيمان مبني على ثلاثة أركان:

- اعتراف القلب بنعم الله كلها عليه وعلى غيره.
- والتحدث بها، والثناء على الله بها.
- والاستعانة بها على طاعة المنعم وعبادته، والله أعلم.

باب قول الله تعالى: ﴿فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

قال الشيخ السعدي: الترجمة السابقة على قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا﴾ (البقرة: 165) الآية، يقصـد بها

لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلاناً، هذا كله به شرك» رواه ابن أبي حاتم.

وعن عمر بن الخطاب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن حَلَفَ بغَير الله فَقَد كفَر أو أشرَكَ**» رواه الترمذي وحسنه وصححه الحاكم.

وقال ابن مسعود: «**لأن أحلف بالله كاذباً أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقاً**».

وعن حذيفة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**تَقُولوا مَا شَاءَ اللهُ وَمَا شَاءَ فُلاَنٌ، وَلَكن قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ فُلاَنٌ**» رواه أبو داود بسند صحيح.

وجاء عن إبراهيم النخعي، أنه يكره أن يقول: أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول: بالله ثم بك، قال: «ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا تقولوا لولا الله وفلان».

الشرك الأكبر بأن يجعل لله نداً في العبادة والحب والخوف والرجاء وغيرها من العبادات. وهذه الترجمة المراد بها الشرك الأصغر كالشرك في الألفاظ كالحلف بغير الله، وكالتشريك بين الله وبين خلقه في الألفاظ كـ «لولا الله وفلان» و«هذا بالله وبك»، وكإضافة الأشياء ووقوعها لغير الله كـ «لولا الحارس لأتانا اللصوص»، و«لولا الدواء الفلاني لهلكت»، و«لولا حذق فلان في المكسب الفلاني لما حصل». فكل هذا ينافي التوحيد.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية البقرة في الأنداد.

الثانية: أن الصحابة رضي الله عنهم يفسرون الآية النازلة في الشرك الأكبر بأنها تعم الأصغر.

الثالثة: أن الحلف بغير الله شرك.

الرابعة: أنه إذا حلف بغير الله صادقاً فهو أكبر من اليمين الغموس.

الخامسة: الفرق بين الواو وثم في اللفظ.

باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «**لاَ تَحلفُوا بآبائكُم، مَن حَلَفَ بالله فَليَصدُق ومَن حُلفَ لَهُ بالله فَليَرضَ، وَمَن لَم يَرضَ فَلَيسَ منَ الله**». رواه ابن ماجه بسند حسن.

والواجب أن تضاف الأمور ووقوعها ونفع الأسباب إلى إرادة الله وإلى الله ابتداء، ويذكر مع ذلك مرتبة السبب ونفعه، فيقول: «لولا الله، ثم كذا» ليعلم أن الأسباب مربوطة بقضاء الله وقدره. فلا يتم توحيد العبد حتى لا يجعل لله نداً في قلبه وقوله وفعله.

باب من لم يقنع في الحلف بالله

قال الشيخ السعدي: ويراد بهذا إذا توجهت اليمين على خصمك وهو معروف بالصدق أو ظاهره الخير والعدالة، فإنه يتعين عليك الرضا والقناعة بيمينه؛ لأنه ليس عندك يقين يعارض صدقه.

فيه مسائل:

الأولى: النهى عن الحلف بالآباء.

الثانية: الأمر للمحلوف له بالله أن يرضى.

الثالثة: وعيد من لم يرض .

بـــاب قــول مـــا شـــاء اللـــه وشئـــت

عن قُتَـيلة «**أن يهـودياً أتى النبى ﷺ فـقال: إنكـم تشركـون، تقولون: ما شـاء الله وشئت، وتقولون: والكعبـة، فأمرهم النبى ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: وَرَبِّ الكَعبَة، وأن يقولوا: مَا شَاءَ الله**

وما كـان عليه المسلمون من تعظيم ربهـم وإجلاله يوجب عليك أن ترضى بالحلف بالله. وكذلك لو بذلت له اليمين بالله فلم يرضَ إلا بالحلف بالطلاق أو دعاء الخصم على نفسه بالعقوبات فهو داخل فى الوعيـد؛ لأن ذلك سوء أدب وترك لتـعظيم الله، واستـدراك على حكم الله ورسوله. وأما من عرف منه الفجور والكذب حلف على ما تيقن كـذبه فيه؛ فإنه لا يدخل تكذيبه فى الوعـيد للعلم بكذبه، وأنه ليس فى قلبه من تعظيـم الله ما يطمئن الناس إلى يمينه فتـعيَّن إخراج هذا النوع من الوعيد؛ لأن حالته متيقنة، والله أعلم.

باب قول ما شاء الله وشئت

قال الشيخ السعدي: هذه الترجمة داخلة فى الترجمة السابقة: ﴿**فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا**﴾.

ثُمَّ شئت» رواه النسائي وصححه. وله أيضاً عن ابن عباس: «**أن رجلاً قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت، فقال: أجَعَلْتَنى لله نداً؟ بل مَا شَاءَ اللهُ وَحدَهُ**». ولابن ماجه عن الطفيل - أخي عائشة لأمها - قال: «**رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود، قلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: عزير ابن الله، قالوا: وأنتم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. ثم مررت بنفر من النصاري، فقلت: إنكم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون المسيح ابن الله، قالوا: وأنتم لأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت، ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته، قال: هَل أَخبَرت بهَا أَحَداً؟ قلت: نعم. قال: فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أَمَّا بَعدُ فَإِنَّ طُفَيلاً رَأى رُؤيَا أَخبَر بَها مَن أَخبَرَ منكُم، وإِنَّكُم قُلتُم كَلمَةً يمنَعُني كَذا وكَذا أن أَنهاكُم عَنها، فَلا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ، ولَكن مَا شَاءَ اللهُ وحده**».

فيه مسائل:

الأولى: معرفة اليهود بالشرك الأصغر.

الثانية: فهم الإنسان إذا كان له هوى.

الثالثة: قوله ﷺ: «**أجعلتني لله ندا؟**» فكيف بمن قال: «يَا أَكرَمَ الخَلقِ مَا لِي مَن أَلُوذُ به سوَاكَ» والبيتين بعده.

الرابعة: أن هذا ليس من الشرك الأكبر؛ لقوله ﷺ: «يمنعني كذا وكذا».

الخامسة : أن الرؤيا الصالحة من أقسام الوحى .

السادسة : أنها قد تكون سبباً لشرع بعض الأحكام .

باب من سب الدهر فقد آذى الله

وقول الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ ﴾ (الجاثية : ٢٤) .

وفي الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «قَالَ اللهُ تَعَالَي: يُؤذِينِى ابنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهرَ وَأَنَا الدَّهرُ أُقَلِّبُ اللَّيلَ وَالنَّهَارَ» .

باب من سب الدهر فقد سب الله

قال الشيخ السعدي: وهذا واقع كثيراً فى الجاهلية، وتبعهم على هذا كثير من الفساق والمجان والحَمْقى، إذا جرت تصاريف الدهر على خلاف مرادهم جعلوا يسبون الدهر والوقت، وربما لعنوه. وهذا ناشئ من ضعف الدين ومن الحمق والجهل العظيم، فإن الدهر ليس عنده من الأمر شيء، فإنه مدبَّر مصرَّف، والتصاريف الواقعة فيه تدبير العزيز الحكيم، ففى الحقيقة يقع العيب والسب على مدبِّره.

وكما أنه نقص فى الدين فهو نقص فى العقل، فيه تزداد المصائب ويعظم وقعها ويغلق باب الصبر الواجب، وهذا منافٍ للتوحيد.

أما المؤمن فإنه يعلم أن التصاريف واقعة بقضاء الله وقدره وحكمته، فلا يتعرض لعيب ما لم يعبه الله ولا رسوله، بل يرضى بتدبير الله ويسلم لأمره، وبذلك يتم توحيده وطمأنينته.

وفى رواية: «**لاَ تَسُبُّوا الدَّهرَ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهر**».

فيه مسائل:

الأولى: النهى عن سب الدهر.

الثانية: تسميته آذى لله.

الثالثة: التأمل فى قوله: «فإن الله هو الدهر».

الرابعة: أنه قد يكون ساباً، ولو لم يقصده بقلبه.

باب التسمى بقاضى القضاة ونحوه

فى الصحيح عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**إنَّ أَخنَعَ اسمٍ عندَ الله رجلٌ تسمى مَلكَ الأملاَك، لاَ مَالكَ إلاَّ اللهَ**».

قال سفيان: مثل شاهنشاه. وفى رواية: «**أَغيَظُ رَجُلٍ عَلَى الله يومَ القيَامَة وَ أَخبثُهُ**». قوله: «أَخنَعَ» يعنى أَوضَع.

فيه مسائل

الأولى: النهى عن التسمى بملك الأملاك.

الثانية: أن ما فى معناه مثله، كما قال سفيان.

الثالثة: التفطن للتغليظ فى هذا ونحوه، مع القطع بأن القلب لم يقصد معناه.

الرابعة: التفطن أن هذا لأجل الله سبحانه.

باب التسمى بقاضى القضاة ونحوه

باب احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك

عن أبي شُريح أنه كان يُكنى أبا الحكم، فقال له النبي ﷺ: «إنَّ الله هوَ الحَكَمُ وإلَيه الحُكْمُ، فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شئ أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين، فقال : مَا أَحسَنَ هَذَا، فَمَالَكَ منَ الوَلَد؟ قلت: شريح، ومسلم، وعبد الله، قال: فَمَنَ أَكبرُهُم؟ قلت: شريح، قال: فَأنتَ أَبُو شُرَيح» رواه أبو داود وغيره.

فيه مسائل:

الأولى: احترام صفات الله وأسماء الله، ولو لم يقصد معناه.

الثانية: تغيير الاسم لأجل ذلك.

الثالثة: اختيار أكبر الأبناء للكنية.

باب احترام أسماء الله وتغيير الاسم لذلك

قال الشيخ السعدي: وهاتان الترجمتان من فروع الباب السابق. وهو أنه يجب أن لا يُجعَل لله ند في النيات والأقوال والأفعال. فلا يسمى أحد باسم فيه نوع مشاركة لله في أسمائه، وصفاته، كقاضي القضاة وملك الملوك، ونحوهما، وحاكم الحكام، أو بأبي الحكم ونحوه، وكل هذا حفظ للتوحيد ولأسماء الله وصفاته، ودفع لوسائل الشرك حتى في الألفاظ التي يخشى أن يتدرج منها إلى أن يظن مشاركة أحد لله في شيء من خصائصه وحقوقه.

باب من هزل بشئ فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

وقول الله تعالى : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ (التوبة : ٦٥) .

عن ابن عمر، ومحمد بن كعب، وزيد بن أسلم، وقتادة ـ دخل حديث بعضهم في بعض ـ : **«أنه قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً ولا أكذب ألسناً، ولا أجبن عند اللقاء ـ يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القراء ـ فقال له عوف بن مالك: كذبت، ولكنك منافق لأخبرنَّ رسول الله ﷺ، فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره فوجد القرآن قد سبقه، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ، وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب، نقطع به عنا الطريق، قال ابن عمر: كأني أنظر إليه متعلقاً بنسعة ناقة رسول الله ﷺ وإن الحجارة تنكب رجليه، وهو يقول: إنما كنا نخوض ونلعب، فيقول له رسول الله ﷺ : ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ * لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ ما يلتفت إليه وما يزيده عليه»** .

باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

قال الشيخ السعدي : أي فإن هذا مناف للإيمان بالكلية، ومخرج من الدين، لأن أصل الدين الإيمان بالله وكتبه ورسله .

فيه مسائل:

الأولى: وهى العظيمة أن من هزل بهذا أنه كافر .

الثانية: أن هذا تفسير الآية فيمن فعل ذلك كائناً من كان .

الثالثة: الفرق بين النميمة والنصيحة لله ولرسوله .

الرابعة: الفرق بين العفو الذى يحبه الله وبين الغلظة على أعداء الله .

الخامسة: أن من الاعتذار ما لا ينبغى أن يقبل .

بـــاب

ما جاء فى قول الله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ (فصلت: ٥٠).

ومن الإيمان تعظيم ذلك، ومن المعلوم أن الاستهزاء والهزل بشيء من هذه أشد من الكفر المجرد، لأن هذا كفر وزيادة احتقار وازدراء. فإن الكفار نوعان: معرضون ومعارضون. فالمعارض المحارب لله ورسوله، القادح بالله وبدينه ورسوله أغلظ كفراً وأعظم فساداً. والهازل بشيء منها من هذا النوع.

باب ما جاء فى قول الله تعالى:
﴿ ولَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ .... ﴾

قال الشيخ السعدي: مقصود هذه الترجمة أن كل من زعم أن ما أوتيه من النعم والرزق فهو بكده وحذقه وفطنته، أو أنه مستحق

قال مجاهد: «هذا بعملي، وأنا محقوق به».

وقال ابن عباس: «يريد من عندي».

وقوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾ (القصص: ٧٨). قال قتادة: على علم مني بوجوه المكاسب. وقال آخرون: على علم من الله أني له أهل. وهذا معنى قول مجاهد: أوتيته على شرف.

وعن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ ثَلاثَةً من بَني إسرائيلَ: أبرَصَ وأقرَعَ وأعمَى، فَأَرَادَ اللهُ أن يَبتَلِيَهُم، فَبَعَثَ إليهم مَلَكاً، فَأتَى الأبرَصَ، فَقَالَ: أيُّ شيءٍ أحَبُّ إلَيكَ؟ قَالَ: لَونٌ حَسَنٌ، وَجلدٌ حَسَنٌ، وَيَذهَبُ عَنِّي الذي قَد قَذِرَني النَّاسُ به، قَالَ: فَمَسَحَهُ، فَذَهَبَ عَنهُ قَذَرُهُ، فَأُعطِيَ لَوناً حَسَناً وَجلداً حَسَناً، قَالَ: فَأَيُّ المَال أَحَبُّ إلَيكَ؟ قَالَ: الإِبلُ أو البَقَرُ ـ شكَ إسحاق ـ فَأُعطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، وقَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فيهَا. قَالَ: فَأَتَى الأقرَعَ، فَقَالَ: أيُّ شيءٍ أحَبُّ إلَيكَ؟ قَالَ: شَعرٌ حَسَنٌ، وَيَذهَبُ عَنِّي الذي قَذِرَني النَّاسُ به، فَمَسَحَهُ، فَذَهَبَ عَنهُ، وأُعطِيَ شَعراً حَسَناً، فَقَالَ: أيُّ المَالَ أَحَبُّ إليك؟ قَالَ: البَقَرُ أو الإبلُ، فَأُعطِيَ بَقَرَةً حَاملاً، قَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فيهَا. فأتَى الأعمى،**

لذلك؛ لما يظن له على الله من الحق، فإن هذا منافٍ للتوحيد؛ لأن المؤمن حقاً من يعترف بنعم الله الظاهرة والباطنة ويثني على الله بها، ويضيفها إلى فضله وإحسانه، ويستعين بها على طاعته، ولا يرى له

فَقَالَ: أَيُّ شيْءٍ أَحَبُّ إليكَ؟ قَالَ: أن يَرُدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِى فَأُبصر به النَّاسَ، فَمَسَحَهُ، فَرَدَّ اللهُ إليه بَصَرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ المَال أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الغنَمُ، فَأُعطِيَ شَاةً وَالداً. فَأَنتجَ هَذَان وَوَلَّدَ هَذَا، فَكَانَ لهذَا وَادٍ منَ الإبلِ، ولهذَا وَادٍ منَ البقَرِ، ولهذَا وَادٍ منَ الغنَمِ . قَالَ: ثُمَّ إِنَّهَ أَتَى الأَبرَصَ فى صُورَته وهيئَته، فَقَالَ: رَجُلٌ مسكينٌ وابن سَبيلٍ قد انقطَعَت بيَ الحبَالُ فى سَفَرِي، فلا بَلاغَ ليَ اليومَ إلا بالله ثُمَّ بكَ، أَسأَلُكَ بالذى أعطَاكَ اللَونَ الحَسَنَ، وَالجلدَ الحَسَنَ، وَالمَالَ، بَعيراً أَتَبَلَّغُ به فى سَفَرِي، فَقَالَ: الحُقُوقُ كَثيرةٌ، فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّى أَعرِفُكَ؟ أَلَم تَكُن أبرص يَقْذَرُكَ النَّاسُ، فَقيراً فَأَعطاكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ المَالَ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثتُ هَذَا المَالَ كَابراً عَن كَابر، فَقَالَ: إن كُنتَ كَاذباً فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنتَ. ثُمَّ إِنَهُ أَتَى الأَقرَعَ فى صُورَته، فَقَالَ لَهُ مثلَ مَا قَالَ لهذَا، وَرَدَّ عَلَيه مثلَ مَا رَدَّ عَلَيه هَذَا، فَقَالَ: إِن كُنتَ كَاذباً فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنتَ. قَالَ: وَأَتَى الأَعمَى فى صُورَته، فَقَالَ: رَجُلٌ مسكينٌ وَابنُ سَبيلٍ قَد انقطَعَت بيَ الحبَالُ فى سَفَرِى فَلاَ بَلاَغَ ليَ اليَومَ إلا بالله ثم بكَ، أَسأَلُكَ بالذى رَدَّ عَلَيكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بهَا فى سَفَرِي، فَقَالَ: قَد كُنتُ أَعمَى فَرَدَّ

حقًا على الله، وإنما الحق كله لله، وأنه عبد محض من جميع الوجوه، فبهذا يتحقق الإيمان والتوحيد، وبضده يتحقق كفران النعم، والعجب بالنفس والإدلال الذى هو من أعظم العيوب.

اللهُ إليَّ بَصَرِي، فَخُذ مَا شئتَ، وَدَع مَا شئتَ، فَوَالله لاَ أَجْهَدُكَ اليَومَ بشيءٍ أَخَذتَهُ لله، فَقَالَ: أَمسك مَالَكَ، فَإنَّما ابتُليتُم فَقَد رَضِيَ اللهُ عَنكَ وَسَخطَ عَلَى صَاحِبَيكَ» أخرجاه.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآية.

الثانية: ما معنى ﴿لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ .

الثالثة: ما معنى قوله: ﴿أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾.

الرابعة: ما في هذه القصة العجيبة من العبر العظيمة.

باب قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الأعراف: ١٩٠).

قال ابن حزم: اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله، كعبد عمرو، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك، حاشا عبد المطلب، وعن ابن عباس في الآية، قال: «لَمَّا تَغَشَّاهَا آدَمُ حَمَلَت، فَأَتَاهُمَا إبليسُ فَقَالَ: إنِّي صَاحِبُكُمَا الذي أَخرَجكُمَا مِنَ الجَنَّة لتُطيعَاني،

باب قول الله تعالى:

﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾

قال الشيخ السعدي: مقصود الترجمة أن من أنعم الله عليهم بالأولاد، وكمل الله النعمة بهم بأن جعلهم صالحين في أبدانهم.

أَو لأجعلنَّ لَهُ قَرنَي أَيْلٍ فَيَخرُجَ من بَطنك فَيَشُقُّهُ، ولأفعلَنَّ ولأفعَلَنَّ، يُخوِّفُهمَا، سَمِّيَاهُ عَبدَ الحَارث، فَأَبَيَا أَن يُطيعَاهُ فَخرَجَ مَيتاً، ثُمَّ حَمَلت فَأَتَاهُمَا فَذَكَر لَهُمَا، فَأَدرَكَهُمَا حُبُّ الوَلَد، فَسَمَّيَاهُ عَبدَ الحَارث، فَذَلك قَولُهُ: ﴿جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾». رواه ابن أبي حاتم. وله بسند صحيح عن قتادة قال: «شُركَاء في طَاعَته ولَم يَكُن في عبَادَته». وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله: ﴿لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا﴾ قال: أشفقا أن لا يكون إنساناً. وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما.

فيه مسائل:

الأولى: تحريم كل اسم معبد لغير الله.

الثانية: تفسير الآية.

الثالثة: أن هذا الشرك في مجرد تسمية لم تقصد حقيقتها.

الرابعة: أن هبةَ الله للرجل البنتَ السوية من النعم.

الخامسة: ذكر السلف الفرق بين الشرك في الطاعة والشرك في العبادة.

وتمام ذلك أن يصلحوا في دينهم، فعليهم أن يشكروا الله على إنعامه وأن لا يعبِّدوا أولادهم لغير الله، أو يضيفوا النعم لغير الله، فإن ذلك كفران للنعم منافٍ للتوحيد.

باب قول الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾ الآية (الأعراف: ١٨٠).

ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس ﴿ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾ «يشركون». وعنه: «سموا اللات من الإله، والعزى من العزيز». وعن الأعمش: يدخلون فيها ما ليس منها.

فيه مسائل:

الأولى: إثبات الأسماء.

باب قول الله تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾

قال الشيخ السعدي: أصل التوحيد إثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله من الأسماء الحسني، ومعرفة ما احتوت عليه من المعاني الجليلة، والمعارف الجميلة، والتعبد لله بها ودعاؤه بها.

فكل مطلب يطلبه العبد من ربه من أمور دينه ودنياه، فليتوسل إليه باسم مناسب له من أسماء الله الحسنى، فمَنْ دعاه لحصول رزق فليسأله باسمه الرزاق، ولحصول رحمة ومغفرة فباسمه الرحيم الرحمن البر الكريم العفو الغفور التواب ونحو ذلك.

وأفضل من ذلك أن يدعوه بأسمائه وصفاته دعاء العبادة. وذلك باستحضار معاني الأسماء الحسنى وتحصيلها في القلوب حتى تتأثر القلوب بآثارها ومقتضياتها. وتمتلئ بأجل المعارف.

الثانية: كونها حسنى.

الثالثة: الأمر بدعائه بها .

فمثلاً أسماء العظمة والكبرياء والمجد والجلال والهيبة تملأ القلوب تعظيمًا لله وإجلالاً له. وأسماء الجمال والبر والإحسان والرحمة والجود تملأ القلب محبة لله وشوقًا له وحمدًا له وشكرًا.

وأسماء العز والحكمة والعلم والقدرة تملأ القلب خضوعًا لله وخشوعًا وانكساراً بين يديه. وأسماء العلم والخبرة والإحاطة والمراقبة والمشاهدة تملأ القلب مراقبة لله فى الحركات والسكنات وحراسة للخواطر عن الأفكار الردية والإرادات الفاسدة.

وأسماء الغنى واللطف تملأ القلب افتقارًا واضطراراً إليه، والتفاتاً إليه كل وقت، فى كل حال. فهذه المعارف التى تحصل للقلوب بسبب معرفة العبد بأسمائه وصفاته، وتعبده بها لله لا يحصِّل العبد فى الدنيا أجل ولا أفضل ولا أكمل منها، وهى أفضل العطايا من الله لعبده، وهى روح التوحيد وروحه.

ومن انفتح له هذا الباب انفتح له باب التوحيد الخاص، والإيمان الكامل الذى لا يحصل إلا للكمّل من الموحدين. وإثبات الأسماء والصفات هو الأصل لهذا المطلب الأعلى. وأما الإلحاد فى أسماء الله وصفاته فإنه ينافى هذا المقصد العظيم أعظم منافاة. والإلحاد أنواع:

- إما أن ينفى الملحد معانيها كما تفعله الجهمية ومن تبعهم.
- وإما بتشبيهها بصفات المخلوقين كما يفعله المشبهة من الرافضة وغيرهم.

الرابعة: ترك من عارض من الجاهلين الملحدين .

الخامسة: تفسير الإلحاد فيها .

السادسة: وعيد من ألحد.

بـاب لا يقـال: السـلام على اللـه

في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: **«كنا إذا كنا مع النبي ﷺ في الصلاة، قلنا: السلام على الله من عبـاده، السلام على فلان وفلان، فقال النبي ﷺ : لاَ تَقُولُوا: السَّلاَمُ عَلَى اللهِ، فَإِنَّ اللهَ هُوَ السَّلاَمُ»** .

فيه مسائل:

الأولى: تفسير السلام.

الثانية: أنه تحية.

● وإما بتسمية المخلوقين بها كما يفعله المشركون حيث سموا اللات من الإله، والعزى من العزيز، ومناة من المنان، فاشتقوا لها من أسماء الله الحسنى، فشبهوها بالله ثم جعلوا لها من حقوق العبادة ما هو من حقوق الله الخاصة. فحقيقة الإلحاد في أسماء الله هو الميل بها عن مقصودها لفظًا أو معنى، تصريحًا، أو تأويلاً، أو تحريفاً. وكل ذلك مناف للتوحيد والإيمان.

باب لا يقال السلام على الله

قال الشيخ السعدي: وقد بيَّن ﷺ هذا المعنى بقوله: «**فإن الله هو السلام**» فهو تعالى السلام السالم من كل عيب ونقص، وعن

الثالثة: أنها لا تصلح لله.

الرابعة: العلة فى ذلك.

الخامسة: تعليمهم التحية التى تصلح لله.

باب قول: اللهم اغفر لى إن شئت

فى الصحيح عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لاَ يَقُلْ أَحَدُكُم: اللَّهُمَّ اغفر لى إن شئت، اللَّهُمَّ ارحمنى إن شئتَ، لِيَعزِم المَسأَلَةَ، فَإِنَّ اللهَ لاَ مُكْرِهَ لَهُ**». ولمسلم: «**وَلْيُعْظِم الرَّغبَةَ فَإِنَّ اللهَ لاَ يَتَعاظَمُهُ شَىءٌ أَعطَاهُ**».

فيه مسائل:

الأولى: النهى عن الاستثناء فى الدعاء.

مماثلة أحد من خلقه له، وهو المسلم لعباده من الآفات والبليات، فالعباد لن يبلغوا ضره فيضروه، ولن يبلغوا نفعه فينفعوه، بل هم الفقراء إليه، المحتاجون إليه فى جميع أحوالهم، وهو الغنى الحميد.

باب قول: اللهم اغفر لى إن شئت

قال الشيخ السعدى: الأمور كلها وإن كانت بمشيئة الله وإرادته، فالمطالب الدينية كسؤال الرحمة والمغفرة، والمطالب الدنيوية المعينة على الدين كسؤال العافية والرزق وتوابع ذلك، قد أمر العبد أن يسألها من ربه طلبًا ملحًا جازمًا، وهذا الطلب عين العبودية ومخها.

الثانية: بيان العلة فى ذلك. الثالثة: قوله: «ليعزم المسألة».

الرابعة: إعظام الرغبة. الخامسة: التعليل لهذا الأمر.

بـــاب لا يقـــول: عبدى وأمتـــى

في الصحيح عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لاَ يَقُل أَحَدُكُم: أطعم ربَّكَ، وَضِّئْ رَبَّكَ، وَلْيَقُل: سَيِّدِي وَمَولاَيَ، وَلاَ يَقُل أَحَدُكُم: عَبدِي وَأَمتي، وَلْيَقُل: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلاَمِي**».

ولا يتم ذلك إلا بالطلب الجازم الذى ليس فيه تعليق بالمشيئة، لأنه مأمور به، وهو خير محض لا ضرر فيه، والله تعالى لا يتعاظمه شيء.

وبهذا يظهر الفرق بين هذا وبين سؤال بعض المطالب المعينة التى لا يتحقق مصلحتها ومنفعتها، ولا يجزم أن حصولها خير للعبد. فالعبد يسأل ربه ويعلقه على اختيار ربه له أصلح الأمرين، كالدعاء المأثور «**اللهمَّ أحيني إذَا كانَت الحيَاةُ خيراً لي، وتوفَّني إذَا علمتَ الوفَاةَ خيرًا لي**» وكدعاء الاستخارة. فافهم هذا الفرق اللطيف البديع بين طلب الأمور النافعة لمعلوم نفعها وعدم ضررها، وأن الداعى يجزم بطلبها ولا يعلقها، وبين طلب الأمور التى لا يدرى العبد عن عواقبها. ولا رجحان نفعها على ضررها. فالداعى يعلِّقها على اختيار ربه الذى أحاط بكل شيء علمًا وقدرة ورحمة ولطفًا.

باب لا يقل عبدى وأمتى

قال الشيخ السعدي: وهذا على وجه الاستحباب أن يعدل العبد عن

فيه مسائل:

الأولى: النهى عن قول: عبدى وأمتى.

الثانية: لا يقول العبد: ربى، ولا يقال له: أطعم ربك.

الثالثة: تعليم الأول قول: فتاى وفتاتى وغلامى.

الرابعة: تعليم الثانى قول: سيدى ومولاى.

الخامسة: التنبيه للمراد، وهو تحقيق التوحيد حتى فى الألفاظ.

باب لا يُرَدُّ من سأل بالله

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن سَأَلَ بالله فَأَعطُوهُ، وَمَن استَعَاذَ بالله فَأَعيذُوهُ، وَمَن دَعَاكُم فَأَجيبُوهُ، وَمَن صَنَعَ إليكُم مُعروفاً فَكَافِئوهُ، فَإِن لَم تَجدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادعُوا لَهُ، حَتَّى تَرَوا أَنَّكُم كَافَأتُمُوهُ**» رواه أبو داود والنسائى بسند صحيح.

فيه مسائل:

الأولى: إعاذة من استعاذ بالله.

قول عبدى وأمتى إلى فتاى وفتاتى؛ تحفظًا عن اللفظ الذى فيه إيهام ومحذور، ولو على وجه بعيد، وليس حرامًا، وإنما الأدب كمال التحفظ بالألفاظ الطيبة التى لا توهم محذورًا بوجه. فإن الأدب فى الألفاظ دليل على كمال الإخلاص خصوصًا هذه الألفاظ التى هى أمس بهذا المقام.

باب لا يرد من سأل بالله

الثانية : اعطاء من سأل بالله

الثالثة : إجابة الدعوة .

الرابعة : المكافأة على الصنيعة .

الخامسة : أن الدعاء مكافأة لمن لم يقدر إلا عليه .

السادسة : قوله : « **حتى تروا أنكم قد كافأتموه** » .

بــاب لا يسأل بوجه الله إلا الجنــة

عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ : «**لاَ يُسأَلُ بِوَجهِ الله إلاَّ الجَنَّة**» رواه أبو داود.

فيه مسائل:

الأولى: النهي عن أن يسأل بوجه الله إلا غاية المطالب.

الثانية: إثبات صفة الوجه.

باب لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة

قال الشيخ السعدي: الباب الأول خطاب للمسئول، وأنه إذا أدلى على الإنسان أحد بحاجة وتوسل إليه بأعظم الوسائل، وهو السؤال بالله، أن يجيبه احتراماً وتعظيمًا لحق الله، وأداءً لحق أخيه حيث أدلى بهذا السبب الأعظم.

والباب الثاني خطاب للسائل، وأن عليه أن يحترم أسماء الله وصفاته. وأن لا يسأل شيئًا من المطالب الدنيوية بوجه الله، بل لا يسأل

بـــاب مـا جـاء فــى اللــو

وقول الله تعــالى: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَا هُنَا﴾ (آل عمـران: ١٥٤). وقوله: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ الآية (آل عمران: ١٦٨).

في الصــحيح عن أبي هريرة أن رســول الله قال: «احرِصْ عَلَى مَا يَنفَعُكَ، وَاستَعِن باللهِ وَلاَ تَعجَزَنَّ، وَإِن أَصَابَكَ شَيءٌ فَلاَ تَقُل: لَو أَنِّي فَعَلتُ كَذَا لَكَان كَذَا وَكَذَا، وَلَكِن قُل: قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَل، فَإِنَّ لَوْ تَفتَحُ عَمَلَ الشَّيطَانِ».

بوجهه إلا أهم المطالب وأعظم المقاصد وهي الجنة بما فيها من النعيم المقيم، ورضا الرب والنظر إلى وجهه الكريم والتلذذ بخطابه، فهذا المطلب الأسنى هو الذي يُسأل بوجه الله. وأما المطالب الدنيوية والأمور الدنيئة وإن كان العبد لا يسألها إلا من ربه؛ فإنه لا يسأله بوجهه.

باب ما جاء في « لو »

قال الشيخ السعدي: اعلم أن استعمــال العبد للفظة «لو» تقع على قسمين: مذموم ومحمود.

أما المذموم؛ فأن يقع منه أو عليه أمر لا يحبه، فيقول: لو أني فعلت كذا لكان كذا. فهذا من عمل الشيطان، لأن فيه محذورين.

أحدهما: أنها تفتح عليه باب الندم والسخط والحزن الذي ينبغي له إغلاقه، وليس فيها نفع.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيتين في آل عمران .

الثانية: النهى الصريح عن قول «لَوْ» إذا أصابك شئ .

الثالثة: تعليل المسألة بأن ذلك يفتح عمل الشيطان .

الثاني: أن في ذلك سوء أدب على الله وعلى قدره، فإن الأمور كلها والحوادث دقيقها وجليلها بقضاء الله وقدره. وما وقع من الأمور فلابد من وقوعه، ولا يمكن رده، فكأن في قوله: «لو كان كذا» أو «لو فعلت كذا كان كذا» نوع اعتراض ونوع ضعف إيمان بقضاء الله وقدره. ولا ريب أن هذين الأمرين المحذورين لا يتم للعبد إيمان ولا توحيد إلا بتركهما.

وأما المحمود من ذلك؛ فأن يقولها العبد تمنيًا للخير. كقوله ﷺ : «**لو استقبلتُ من أمرى مَا استدبرتُ ما سُقتُ الهَديَ ولأهللتْ بالعُمَرَة**». وقوله في الرجل المتمنى للخير: «**لو أن لى مثل مال فلان لعملتَ فيه مثل عمل فلان**». و «**لو صبر أخي موسى لقص الله علينا من نبأهما**» أى في قصته مع الخضر. وكما أن (لو) إذا قالها متمنياً للخير فهو محمود، فإذا قالها متمنياً للشر فهو مذموم. فاستعمال (لو) تكون بحسب الحال الحامل عليها. إن حمل عليها الضجر والحزن وضعف الإيمان بالقضاء والقدر أو تمنى الشر كان مذمومًا. وإن حمل عليها الرغبة في الخير والإرشاد والتعليم كان محموداً، ولهذا جعل المصنف الترجمة محتملة للأمرين.

الرابعة: الإرشاد إلى الكلام الحسن.

الخامسة: الأمر بالحرص على ما ينفع مع الاستعانة بالله.

السادسة: النهى عن ضد ذلك، وهو العجز.

باب النهى عن سب الريح

عن أبى بن كعب رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**لاَ تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِذَا رَأَيْتُم مَا تَكرَهُونَ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسأَلُكَ من خَيرِ هَذه الرِّيحِ وَخَيرِ مَا فيهَا، وَخَيرِ مَا أُمرَتْ به، وَنَعُوذُ بكَ من شَرِّ هَذَهِ الرِّيحِ، وَشَرِّ مَا فِيهَا، وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ**» صححه الترمذى.

فيه مسائل:

الأولى: النهى عن سب الريح.

الثانية: الإرشاد إلى الكلام النافع إذا رأى الإنسان ما يكره.

باب النهى عن سب الريح

قال الشيخ السعدي: وهذا نظير ما سبق فى سب الدهر، إلا أن ذلك الباب عام فى سب جميع حوادث الدهر، وهذا خاص بالريح، ومع تحريمه فإنه حمق وضعف فى العقل والرأى، فإن الريح مصرفة مدبرة بتدبير الله وتسخيره، فالساب لها يقع سبه على من صرفها، ولولا أن المتكلم بسب الريح لا يخطر هذا المعنى فى قلبه غالباً لكان الأمر أفظع من ذلك، ولكن لا يكاد يخطر بقلب مسلم.

الثالثة: الإرشاد إلى أنها مأمورة .

الرابعة: أنها قد تؤمر بخير وقد تؤمر بشر .

بـــاب

قول الله تعالى: ﴿ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَا هُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [آل عمران: ١٥٤]. وقوله: ﴿ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ﴾ الآية [الفتح: ٦].

قال ابن القيم في الآية الأولى: فُسِّر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله، وأن أمره سيضمحل. وفسر بظنهم أن ما

باب قول الله تعالى: ﴿ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾

قال الشيخ السعدي: وذلك أنه لا يتم للعبد إيمان ولا توحيد حتى يعتقد جميع ما أخبر الله به من أسمائه، وصفاته، وكماله، وتصديقه بكل ما أخبر الله به من أسمائه وصفاته وكماله، وتصديقه بكل ما أخبر به، وأنه يفعله، وما وعد به من نصر الدين، وإحقاق الحق، وإبطال الباطل، فاعتقاد هذا من الإيمان وطمأنينة القلب بذلك من الإيمان، وكل ظن ينافي ذلك فإنه من ظنون الجاهلية

أصابهم لم يكن بقدر الله وحكمته. ففسر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله ﷺ، وأن يظهره الله على الدين كله. وهذا هو ظن السوء، الذى ظنه المنافقون والمشركون فى سورة الفتح. وإنما كان هذا ظن السوء لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه، وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق، فمن ظن أنه يُديلُ الباطل على الحق إدالةً مستقرة يضمحل معها الحق، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره، أو أنكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة فذلك ظن الذين كفروا، فويل للذين كفروا من النار. وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم، وفيما يفعله بغيرهم، ولا يَسْلَمُ من ذلك إلا من عَرَفَ الله، وأسماءه، وصفاته، وموجب حكمته وحمده. فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا، وليتب إلى الله، ويستغفره من ظنه بربه ظن السوء. ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتاً على القدر وملامة له، وأنه كان ينبغى أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك هل أنت سالم ؟

فَإِن تَنْجُ مِنهَا تَنْجُ مِن ذِي عَظِيمَةٍ وَإِلا فَإِنِّي لاَ إِخَالكَ نَاجِيا

المنافية للتوحيد؛ لأنها سوء ظن بالله، ونفى لكماله وتكذيب لخبره، وشك فى وعده، والله أعلم.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية آل عمران. الثانية: تفسير آية الفتح.

الثالثة: الإخبار بأن ذلك أنواع لا تحصر.

الرابعة: أنه لا يسلم من ذلك إلا من عرف الأسماء والصفات وعرف نفسه.

باب ما جاء في منكري القدر

وقال ابن عمر: والذي نفس ابن عمر بيده، لو كان لأحَدهم مثل أحد ذهباً، ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه، حتى يؤمن بالقدر، ثم استدل بقول النبي ﷺ: «**الإيمَانُ أن تُؤمنَ بالله ومَلائكته وكُتُبه ورُسُله واليَوم الآخر، وتُؤمنَ بالقَدَر خَيره وشَرِّه**» رواه مسلم.

وعن عبادة بن الصامت أنه قال لابنه: يا بني، إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ أوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ القَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكتُب، فَقَالَ: رَبِّ ومَاذَا أكتُبُ؟**

باب ما جاء في منكري القدر

قال الشيخ السعدي: قد ثبت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة: أن الإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان، وأنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فمن لم يؤمن بهذا فإنه ما آمن بالله حقيقة.

قَالَ: اكتُب مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ »، يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ مَاتَ عَلَى غَيرِ هَذَا فَلَيسَ مِنِّي».

وفي رواية لأحمد: « إنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ تَعَالَى القَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكتُب، فَجَرَى فِي تِلكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَومِ القِيامَةِ ».

وفي رواية لابن وهب، قال رسول الله ﷺ: «فَمَن لَّم يُؤمِن بِالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ أَحرَقَهُ اللهُ بِالنَّارِ» .

وفي المسند والسنن عن ابن الديلمي قال : «أتيت أبي بن كعب فقلت له: في نفسي شيءٌ من القدر، فحدثني بشيءٍ، لعل الله يذهبه من قلبي. فقال: لو أنفقت مثل أحد ذهباً ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار. قال: فأتيت عبد الله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن ثابت، فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي ﷺ». حديث صحيح رواه الحاكم في «صحيحه» .

فيه مسائل:

الأولى: بيان فرض الإيمان بالقدر.

الثانية: بيان كيفية الإيمان به.

فعلينا أن نؤمن بجميع مراتب القدر، فنؤمن أن الله بكل شيء عليم، وأنه كتب في اللوح المحفوظ جميع ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وأن الأمور كلها بخلقه وقدرته وتدبيره.

الثالثة: إحباط عمل من لم يؤمن به .

الرابعة: الإخبار بأن أحداً لا يجد طعم الإيمان حتى يؤمن به.

الخامسة: ذكر أول ما خلق الله .

السادسة: أنه جرى بالمقادير فى تلك الساعة إلى قيام الساعة.

السابعة: براءته ﷺ ممن لم يؤمن به .

الثامنة: عادة السلف فى إزالة الشبهة بسؤال العلماء .

التاسعة : أن العلماء أجابوه بما يزيل شبهته، وذلك أنهم نسبوا الكلام إلى رسول الله ﷺ فقط .

باب ما جاء فى المصورين

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: « **قال رسول الله ﷺ: قَالَ اللهُ تَعَالَى: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذَهَبَ يَخلُقُ كَخَلقي، فَليَخلُقُوا ذَرَّةً، أَو لِيَخلُقُوا حَبَّةً، أَو لِيَخلُقُوا شعيرَةً»**[1] أخرجاه .

ومن تمام الإيمان بالقدر: العلم بأن الله لم يجبر العباد على خلاف ما يريدون بل جعلهم مختارين لطاعتهم ومعاصيهم.

باب ما جاء فى المصورين

قال الشيخ السعدي: وهذا من فروع الباب السابق أنه لا يحل أن يجعل لله نداً فى النيات، والأقوال، والأفعال، والند المشابه ولو

---

(١) رواه البخارى (٥٩٥٣)، ومسلم (٢١١١).

ولهما عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: «**أشدُّ الناسِ عذاباً يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله**»(١).

ولهما عن ابن عباس سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ يُجعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفسٌ يُعَذَّبُ بهَا فِي جَهَنَّم**»(٢).

ولهما عنه مرفوعاً: «**مَن صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنيَا كُلِّفَ أَن يَنفُخَ فِيهَا الرُّوحَ وَلَيسَ بِنَافِخٍ**»(٣).

ولمسلم عن أبي الهياج قال: «**قال لي عليٌّ: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ ألا تَدَعَ صَورةً إلا طَمَسْتها، ولا قَبْراً مُشْرفاً إلا سَوَّيته**»(٤).

فيه مسائل:

الأولى: التغليظ الشديد في المصورين.

الثانية: التنبيه على العلة، وهو ترك الأدب مع الله، لقوله: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي».

بوجه بعيد، فاتخاذ الصور الحيوانية تشبُّه بخلق الله، وكذب على الخلقة الإلهية، وتمويه وتزوير، فلذلك زجر الشارع عنه.

(١) روه البخاري (٥٩٥٤)، ومسلم (٢١٠٧).
(٢) رواه البخاري (٢٢٢٥)، ومسلم (٢١١٠).
(٣) رواه البخاري (٥٩٦٣)، ومسلم (٢١١٠).
(٤) رواه مسلم (٩٦٩).

الثالثة: التنبيه على قدرتـه وعجزهم، لقوله: «فليخلقوا ذرة أو شعيرة».

الرابعة: التصريح بأنهم أشد الناس عذاباً .

الخامسة: أن الله يخلق بعدد كل صورة نفساً يعذب بها المصور في جهنم .

السادسة: أنه يكلف أن ينفخ فيها الروح .

السابعة: الأمر بطمسها إذا وجدت.

بـاب ما جـاء فـي كثرة الحلـف

وقول الله تعالى : ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قـال: سَمـعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**الحَلفُ مَنفَقَةٌ للسِّلعَة، مَمحَقَةٌ للكَسَب**» أخرجاه .

وعن سلمان أن رسول الله ﷺ قال: «**ثَلاثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُم اللهُ، ولاَ يُزَكِّيهم ولَهُم عَذابٌ أَليم: أُشَيمطٌ زَان، وعَائلٌ مُستَكبرٌ، ورَجُلٌ جَعَلَ اللهَ بِضَاعَتَهُ، لاَ يَشتَرِي إِلاَّ بِيَمِينِهِ، ولاَ يَبيعُ إِلاَّ بِيَمِينِه**» رواه الطبراني بسند صحيح.

باب ما جاء في كثرة الحلف

قال الشيخ السعدي: أصل اليمين إنما شرعت تأكيدًا للأمر المحلوف عليه، وتعظيمًا للخالق، ولهذا وجب أن لا يحلف إلا بالله، وكان الحلف بغيره من الشرك.

وفى الصحيح عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيرُ أُمَّتي قَرني، ثُمَّ الذينَ يَلُونَهُم، ثُمَّ الذينَ يَلُونَهُم - قالَ عمرَانُ: فَلا أدري أَذَكَر بَعدَ قَرنه مَرَّتين أَو ثَلاثاً؟ - ثُمَّ إِنَّ بَعْدَكُم قَومٌ يشهـدُونَ وَلا يُستشهَـدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلاَ يُؤتَمنُون، وَينذُرُونَ وَلاَ يُوفُونَ، وَيَظهَرُ فيهم السِّمَنُ». وفيه عن ابن مسعود أن النبى ﷺ قال: «خَيرُ النَّاسِ قَرني، ثُمَّ الذينَ يَلُونَهُم، ثُمَّ الذينَ يَلُونَهُم، ثُمَّ يَجيءُ قَومٌ تَسبقُ شَهَادَةُ أَحَدِهم يَمينَه، وَيَمينُهُ شَهَادَتَه».

وقال إبراهيم: كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار.

فيه مسائل:

الأولى: الوصية بحفظ الأيمان.

الثانية: الإخبار بأن الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للبركة.

الثالثة: الوعيد الشديد فيمن لا يبيع إلا بيمينه ولا يشترى إلا بيمينه.

الرابعة: التنبيه على أن الذنب يعظم مع قلة الداعى.

الخامسة: ذمُّ الذين يحلفون ولا يُستحلفون.

السادسة: ثناؤه ﷺ على القرون الثلاثة أو الأربعة. وذكر ما يحدث بعدهم.

ومن تمام هذا التعظيم: أن لا يحلف بالله إلا صادقًا.

ومن تمام هذا التعظيم: أن يحترم اسمه العظيم عن كثرة الحلف، فالكذب وكثرة الحلف تنافى التعظيم الذى هو روح التوحيد.

السابعة: ذم الذين يشهدون ولا يستشهدون .

الثامنة: كون السلف يضربون الصغار على الشهادة والعهد.

بـــاب مـا جاء في ذمة الله وذمة نبيه

وقوله تـعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ الآية (النحل: ٩١).

وعن بُرَيدة قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيراً، فقال: اغـزُوا باسم الله، في سَبيلِ الله، قَاتلُوا مَن كَفَرَ بالله، اغـزُوا، وَلاَ تَغُلُّوا، وَلاَ تَغدرُوا، وَلاَ تمثِّلوا، وَلاَ تَقْتلُوا وَليداً، وَإِذَا لَقيتَ عَدُوَّكَ مِنَ المُشركينَ فَادعُهُم إلى ثَلاَث خصَال ـ أو خلاَل ـ فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقبَل منهُم وَكُفَّ عَنهُم، ثُمَّ ادْعُهُم إلَى الإسلاَم فَإِن أَجَابُوكَ فَاقبَل منهُم، ثُمَّ ادعُهُم إلَى التَحَوُّل من دَارِهم إلَى دَارِ المُهَاجِرينَ، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فَإِن أَبوَا أَن يَتحَولُوا منهَا فَأَخبرهُم أَنَّهُم يَكُونُونَ كَأَعرَاب المُسلمينَ، يَجرِي عَلَيهِم حُكمُ الله تَعَالَى، وَلاَ يَكُونُ لَهُم فِي الغَنِيمَةِ وَالفَيءِ شَيءٌ، إلاَّ أن يُجَاهِدُوا مَعَ

باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه

قال الشيخ السعدي رحمه الله: المقصود من هذه الترجمة البعد والحذر من التعرض للأحوال التي يخشى منها نقض العهود والإخلال بها بعدما

المُسلمين، فَإِن هُم أَبَوا فَاسأَلهُم الجزيَةَ، فَإِن هُم أَجَابُوكَ فَاقبَل منهُم، وَكُفَّ عَنهُم، فَإِن هُم أَبَوا فَاستَعِن بالله وَقَاتلهُم، وَإِذَا حَاصَرتَ أَهلَ حصنٍ فَأَرادُوكَ أَن تَجعَلَ لَهُم ذمَّةَ الله وَذمةَ نَبيِّه فَلاَ تَجعَل لَهُم ذمَّةَ الله وَذمَّةَ نَبيِّه، ولَكن اجعَل لَهُم ذمَّتَكَ وَذمَّةَ أَصحَابك، فَإِنَّكُم أَن تَخفرُوا ذمَمَكُم وَذمَّةَ أَصحَابكُم أَهوَنُ من أَن تَخفرُوا ذمَّةَ الله وَذمَّةَ نَبيِّه، وَإِذَا حَاصَرتَ أَهلَ حصن فَأَرَادُوكَ أَن تُنزلَهُم عَلَى حُكم الله، فَلاَ تُنزلهُم عَلَى حُكم الله وَلَكن أَنزلهُم عَلَى حكمك، فَإِنَّكَ لاَ تَدرِي أَتُصِيبُ فِيهِم حُكمَ الله أَم لاَ»[1]. رواه مسلم.

فيه مسائل:

الأولى: الفرق بين ذمة الله وذمة نبيه وذمة المسلمين.

الثانية: الإرشاد إلى أقل الأمرين خطراً.

الثالثة: قوله: « **اغزوا بسم الله في سبيل الله** ».

الرابعة: قوله: « **قاتلوا من كفر بالله** ».

الخامسة: قوله: « **استعن بالله وقاتلهم** ».

السادسة: الفرق بين حكم الله وحكم العلماء.

يجعل للأعداء المعاهدين ذمة الله وذمة رسوله، فإنه متى وقع النقض في هذه الحال كان انتهاكاً من المسلمين لذمة الله وذمة نبيه، وتركاً لتعظيم الله، وارتكاباً لأكبر المفسدتين كما نبه عليه ﷺ.

---

(١) رواه مسلم (١٧٣١).

السابعة: في كون الصحابي يحكم عند الحاجة بحكم لا يدري أيوافق حكم الله أم لا؟

باب ما جاء في الإقسام على الله

عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«قَالَ رَجُلٌ: وَاللهِ لاَ يَغفرُ اللهُ لفُلاَن، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَن ذَا الذي يَتَألَّى عَلَيَّ أَن لاَ أَغفرَ لفُلاَن؟ إنِّي قَد غَفَرتُ لَهُ وَأَحبَطتُ عَمَلَكَ»** رواه مسلم. وفي حَديث أبي هريرة: أن القائل رجل عابد، **قال أبو هريرة: «تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته»**.

فيه مسائل:

الأولى: التحذير من التألي على الله.

الثانية: كون النار أقرب إلى أحدنا من شراك نعله.

الثالثة: أن الجنة مثل ذلك.

الرابعة: فيه شاهد لقوله: **«إنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ»**[1] إلى آخره.

وفي ذلك أيضًا تهوين للدين والإسلام وتزهيد للكفار به، فإن الوفاء بالعهود -خصوصًا المؤكدة بأغلظ المواثيق- من محاسن الإسلام الداعية للأعداء المنصفين إلى تفضيله واتباعه.

باب الإقسام على الله

---

(١) رواه البخاري (٦٤٧٧)، ومسلم (٢٩٧٨).

الخامسة: أن الرجل قد يغفر له بسبب هو من أكره الأمور إليه.

باب لا يستشفع بالله على خلقه

عن جبير بن مطعم ﷺ قال: «**جاء أعرابى إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، نُهكَت الأنفس، وجاع العيال، وهلكت الأموال، فاستسق لنا ربك، فإنا نستشفع بالله عليك وبك على الله، فقال النبي ﷺ: سُبحَانَ الله! سُبحَانَ الله! فما زال يسبح حتى عُرفَ ذلك فى وجوه الصَحابة، ثم قال النبى ﷺ: وَيحك، أتدَرى مَا اللهُ؟ إنَّ شأنَ الله أعظَمُ من ذلكَ، إنَّهُ لاَ يُستَشفَعُ بِالله عَلَىَ أحَد من خَلَقه**» وذكر الحديث، رواه أبو داود.

فيه مَسَائل:

الأولى: الإنكار على من قال: «**نَستَشفِعُ بِالله عَليكَ**».

الثانية: تغيره تغيراً عرف فى وجوه أصحابه من هذه الكلمة.

الثالثة: أنه لم ينكر عليه قوله: «**نَستَشفعُ بكَ عَلَى الله**».

باب لا يستشفع بالله على خلقه

قال الشيخ السعدي: وهذان الأمران من سوء الأدب فى حق الله، وهو مناف للتوحيد.

أما الإقسام على الله فهو فى الغالب من باب العجب بالنفس والإدلال على الله، وسوء الأدب معه، ولا يتم الإيمان حتى يسلم من ذلك كله.

الرابعة : التنبيه على تفسير « **سبحان الله** » .
الخامسة : أن المسلمين يسألونه ﷺ الاستسقاء .

باب ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد وسده طرق الشرك

عن عبد الله بن الشِّخِّير رضي الله عنه قال : «**انطلقتُ في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ ، فقلنا: أنت سيدنا، فقال: السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى، قلنا وأفضلنا فضلاً، وأعظمنا طولاً، فقال: قُولوا بِقَولِكُم، أوَ بَعضِ قَولِكُم، وَلاَ يَستَجرِيَنَّكُمُ الشَّيطَانُ**» رواه أبو داود بسند جيد.

وأما الاستشفاع بالله على خلقه فهو تعالى أعظم شأناً من أن يتوسل به إلى خلقه، لأن رتبة المتوسل به غالباً دون رتبة المتوسل إليه، وذلك من سوء الأدب مع الله، فيتعين تركه، فإن الشفعاء لا يشفعون عنده إلا بإذنه، وكلهم يخافونه، فكيف يعكس الأمر فيجعل هو الشافع، وهو الكبير العظيم الذى خضعت له الرقاب وذلت له الكائنات بأسرها.

باب ما جاء في حماية المصطفي حمى التوحيد وسده طرق الشرك

قال الشيخ السعدي: تقدم نظير هذا الترجمة وأعادها المصنف اهتماماً بالمقام، فإن التوحيد لا يتم ولا يحفظ ويحصن إلا باجتناب

وعن أنس ﷺ : «**أن ناساً قالوا: يا رسول الله، يا خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، فقال : يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا بِقَولِكُم وَلاَ يَستَهوِيَنَّكُم الشَّيطَانُ، أَنَا مُحَمَّدٌ عَبدُ الله وَرَسولُه، مَا أُحِبُ أَن تَرفَعُونِى فَوق مَنزِلَتِى التى أَنزلنِى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ**» رواه النسائى بسند جيد.

فيه مسائل:

الأولى: تحذير الناس من الغلو.

الثانية: ما ينبغى أن يقول من قيل له: «**أَنتَ سَيِّدُنَا**».

الثالثة: قوله: «**لاَ يَستَجرِيَنَّكُم الشَّيطَانُ**» مع أنهم لم يقولوا إلا الحق.

الرابعة: قوله: «**مَا أُحِبُّ أَن تَرفَعُونِى فَوقَ مَنزِلَتِى**».

جميع الطرق المفضية إلى الشرك، والفرق بين البابين أن الأولى فيه حماية التوحيد بسد الطرق الفعلية، وهذا الباب فيه حمايته وسده بالتأدب والتحفظ بالأقوال.

فكل قول يفضى إلى الغلو الذى يخشى منه الوقوع فى الشرك فإنه يتعين اجتنابه ولا يتم التوحيد إلا بتركه.

والحاصل أن تمام التوحيد بالقيام بشروطه، وأركانه، ومكملاته ومحققاته، وباجتناب نواقضه ومنقصاته ظاهرًا وباطنًا، قولاً وفعلاً، وإرادة واعتقاداً. وقد مضى من التفاصيل ما يوضح ذلك.

بــاب

ما جاء في قــول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «**جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إِصْبَع، والأرضين على إِصْبَع، والشجر على إِصْبَع، والماء على إِصْبَع، والثرى على إِصْبَع، وسائر الخلق على إِصْبَع، فيقول: أنا الملك، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه، تصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ** رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ الآية.

وفي رواية لمسلم: «**والجبال والشجر على إِصْبَع، ثم يهزهن، فيقول: أنا الملك، أنا الله**». وفي رواية للبخاري: «**يجعل السماوات على إِصْبَع، والماء والثرى على إِصْبَع، وسائر الخلق**

باب قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾

قال الشيخ السعدي: ختم المصنف -رحمه الله تعالى- كتابه بهذه الترجمة.

على إِصْبَع» أخرجاه. ولمسلم عن ابن عمر مرفوعاً: «**يطوى الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوى الأرضين السبع، ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟**»(١).

وروى عن ابن عباس قال: «**ما السماوات السبع والأرضون السبع فى كف الرحمن إلا كخردلة فى يد أحدكم**»(٢).

وقال ابن جرير: حدثنى يونس، أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد حدثنى أبى قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما السماوات السبع فى الكرسى إلا كدراهم سبعة ألقيت فى تُرْسٍ**»(٣).

وذكر النصوص الدالة على عظمة الرب العظيم وكبريائه، ومجده وجلاله وخضوع المخلوقات بأسرها لعزه، لأن هذه النعوت العظيمة والأوصاف الكاملة أكبر الأدلة والبراهين على أنه المعبود

---

(١) رواه مسلم (٢٧٨٨).

(٢) **حسن**: رواه عبد الله بن أحمد فى «السنة» (١٠٩٠)، والطبرانى فى «التفسير» (٢٤/ ٥٤).

(٣) **إسناده ضعيف**: رواه الطبرانى فى «التفسير» (٣/ ١٠).

قال: وقال أبو ذر رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض**»[١].

وعن ابن مسعود قال: «**بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش لا يخفى عليه شئ من أعمالكم**»[٢] أخرجه ابن مهدي، عن حماد بن سلمة، عن عاصم، عن زرّ عن عبد الله. ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم، عن أبي وائل، عن عبد الله. قاله الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى، قال: وله طرق.

وحده، المحمود وحده، الذي يجب أن يبذل له غاية الذل والتعظيم وغاية الحب والتأله، وأنه الحق وما سواه باطل، وهذه حقيقة التوحيد ولبه وروحه، وسر الإخلاص.

---

(١) **إسناده ضعيف**: رواه الطبراني في «التفسير» (٣/ ١٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٦٧).

(٢) **إسناده صحيح**: رواه ابن خزيمة في «التوحيد» (١٤٩)، والطبراني في «الكبير» (٩٨٨٧).

وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**هل تدرون كم بين السماء والأرض؟ قلنا: الله ورسوله أعلم؟ قال: بينهما مسيرة خمسمائة سنة، ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة، وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة، وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، والله سبحانه وتعالى فوق ذلك، وليس يخفى عليه شئ من أعمال بنى آدم**». أخرجه أبو داود وغيره.

فيه مسائل:

الأولى: تفسير قوله: ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (الزمر: ٦٧).

الثانية: أن هذه العلوم وأمثالها باقية عند اليهود الذين فى زمنه ﷺ لم ينكروها ولم يتأولوها.

الثالثة: أن الحبر لما ذكر ذلك للنبى ﷺ صدقه ونزل القرآن بتقرير ذلك.

فنسأل الله أن يملأ قلوبنا من معرفته ومحبته والإنابة إليه؛ إنه جواد كريم.

الرابعة: وقوع الضحك منه ﷺ لما ذكر الحبر هذا العلم العظيم.

الخامسة: التصريح بذكر اليدين، وأن السموات في اليد اليمنى، والأرضين في الأخرى.

السادسة: التصريح بتسميتها الشمال.

السابعة: ذكر الجبارين والمتكبرين عند ذلك.

الثامنة: قوله: «**كخردلة في كف أحدكم**».

التاسعة: عظم الكرسي بالنسبة إلى السماوات.

العاشرة: عظمة العرش بالنسبة إلى الكرسي.

الحادية عشرة: أن العرش غير الكرسي والماء.

الثانية عشرة: كم بين كل سماء إلى سماء.

الثالثة عشرة: كم بين السماء السابعة والكرسي.

الرابعة عشرة: كم بين الكرسي والماء.

الخامسة عشرة: أن العرش فوق الماء.

وهذا آخر التعليق المختصر على كتاب التوحيد وتوضيح مقاصده. وقد حوى من غُرَر مسائل التوحيد ومن التقاسيم

السادسة عشرة: أن الله فوق العرش .

السابعة عشرة : كم بين السماء والأرض .

الثامنة عشرة : كثف كل سماء خمسمائة سنة .

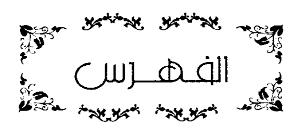
التاسعة عشرة: أن البحر الذى فوق السماوات بين أعلاه وأسفله خمسمائة سنة.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

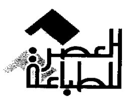
والتفصيلات النافعة ما لا يستغنى عنه الراغبون فى هذا الفن الذى هو أصل الأصول وبه تقوم العلوم كلها.

والحمد لله على تيسيره ومنته

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا



الموضوع	الصفحة



فاكس: ٢٤٣٣٢٤٩
محمول: ٠١٠١٩٠٠٠٣٨٠